روايات عبير

مخاوف إمرأة

WWW.REWITY.COM

مرمورية

Kimberli CAPO

N° 669

روايات عبير

في "سولون" الرملية يوجد قصر
مثل القصر الضائع في وسط الغابة،
ورجل يبحث عن ماض يلح عليه، وعجوز غريب،
وفتاة ذات عينين زرقاوين..
وعما قريب يظهر الجنون البشع والمخيف مثل الأسطورة
الكئيبة التي يبدو أنها لم تغادر جدران القصر العتيق.

ثمن النسخة

لبنان	٢٥٠٠ ل.	قطر	٨ ريال
سوريا	٧٥ ل.	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	مصر	١٠ جنيه
السعودية	٨ ريال	المغرب	20 درهم
الكويت	٧٥٠ فلس	ليبيا	١ دينار
الإمارات	٨ دراهم	تونس	2.5 دينار
البحرين	٧٥٠ فلس	اليمن	٢٥٠ ريال
U.K.	2£		

ISBN 9953-38-075-9
9789953380759

الشخصيات الرئيسية

"جولييت مايانس" : ممثلة شابة.

"بيير بونفيل" : مخرج.

"باتريك دامون" : مساعد المخرج.

"جان دينيس" - "فرانسوا" - "بيريكل" : فنيو العمل بالفيلم.

"مارتان" : حارس الغابة.

WWW.RWITY.COM
مـــوريـــة

الغلاف الأمامي

استمرت في الصراخ ولكنه لصقها بالأرض بيديه القويتين وربط قدميها ويديها.

قال وهو يمرر إصبعه على شفتيها:

- صه، لا يجب إيقاظها.

الفصل الأول

كانت "جولييت مايانس" تقود سيارتها "الفيات" ببطء على طريق رملي مستقيم عبر الغابة. ألقت نظرة شاردة على اللافتة المثبتة على شجرة، اجتازتها ثم رجعت للخلف.

نزلت من السيارة وتفحصت المكتوب عليها: طريق "سان لوبين".

تنهدت الفتاة تنهيدة غيظ: لقد سلكته إذن للمرة الثانية!

لقد أحست بالضياع في هذه المتاهة الكبيرة للطرق التي تشبه بعضها البعض والتي تحيط بـ"سولون". نظرت من حولها بشكل حزين للغابة.

لقد هبطت شمس الخريف من السماء، وكانت أوراق الأشجار تمثل سداً أمام أشعتها. مررت "جولييت" يدها في شعرها المتمرد الذي غطت خصلاته وجهها.

لما كانت تسأل نفسها عما إذا كانت ستعثر على طريقها، ركبت سيارتها ولامت نفسها؛ لأنها غادرت "باريس" متأخرة في فترة ما بعد الظهيرة. أدارت المحرك وعادت إلى تقاطع الطريق الذي كانت قد تركته قبل عدة لحظات. أوقفت المحرك وأخرجت من جيب سترتها ورقة الخريطة وكذلك الإشارة التالية:

"عند ملتقى الطرق السبعة استقل طريق "سان لوبين" ثم طريق "فرنانت". يوجد قصر الشعراء على بعد خمسمائة متر من مستنقع كبير".

رفعت "جولييت" عينيها وتفحصت المكان بحيرة، وانطلقت مرة اخرى وسلكت الطريق نفسه. لابد أن طريق "فرنانت" هذا يوجد في مكان ما هنا!

لما كانت تتفحص أشجار البلوط بحثًا عن الممر المذكور على الخريطة

فكرت "جولييت" بقلق بسيط في الليل الذي يوشك أن يحلّ قريبًا.

وفجأة توقفت عيناها أمام خيال كبير لرجل يدهس بقدميه السرخسيات ويبعد الأغصان التي يقابلها في طريقه.

مع صوت المحرك أدار رأسه واستدار وعبر بقفزة الحفرة الصغيرة التي تفصل الغابة عن الطريق وتقدم نحو السيارة.

ثنى الرجل جسمه العملاق نحو الزجاج المفتوح. تراجعت "جولييت" بشكل غير مدرك.

سألها الرجل المجهول بصوت عذب:

- هل أخفتك؟

ردت عليه "جولييت" بابتسامة:

- لا، لا، لكنني لم أتوقع أن أقابل أحداً هنا. وحقيقة الأمر أشعر بفقد الطريق إلى حد ما. إنني أبحث عن طريق "فرنانت".

بما أن الرجل المجهول لم يجب وكان يتفرسها بإصرار عجيب أوضحت له "جولييت" أنها يجب أن تذهب إلى قصر "بيير بونفيل".

كرر محدثها بتقطيب:

- إلى قصر الشعراء؟

مرت عدة ثوان. تفحصت "جولييت" - التي أصابتها الدهشة قليلاً - هذا الرجل الذي ظل يحملق إليها في صمت. كان يرتدي زيًا قديمًا لحارس الغابة ثم رتقه برعونة، وهذا بدوره أظهر جسمه القوي. كان وجهه تملؤه التجاعيد الشديدة.

أشار الرجل أخيراً نحو نقطة معينة وقال:

- يجب أولاً أن تعبري غابة الصنوبر هذه. إن طريق "فرنانت" بداخل هذه الغابة.

صمت ثم أضاف وهو لايزال يتفرس في الفتاة:

– عيناك زرقاوان ولكنهما أكثر زرقة.

لقد نطق بهذه الكلمات الأخيرة بشكل حالم. دون أن يهتم بالدهشة البادية على وجه الفتاة اعتدل واستدار فجأة.

رأته "جولييت" يبتعد ثم ألقت نظرة إلى مرآة السيارة. عيناها زرقاوان بالفعل ولكنهما ليستا إلى هذه الدرجة. ظلت ساكنة عدة لحظات وفكرت في السلوك الغريب للرجل العجوز، وهزت رأسها وأدارت المحرك. لقد اختفى الرجل.

بعد أكثر من خمسين متراً سارت في غابة الصنوبر التي لها درب يحميها من الحرائق التي قد تصيب الطرق الأخرى.

كانت الغابة ضخمة، وكان يظهر بها في بعض الأماكن مستنقعات ذات مياه داكنة حيث تظهر الجذوع الناعمة والمستقيمة لأشجار الحور الرجراجة. لقد غربت الشمس الآن، لكن السماء – التي لاتزال صافية– تنعكس على السطح الممتد لمستنقع عريض محاط بمجموعة من الجداول وأشجار النسرين ذات الأغصان المثقلة بالفواكه.

استطاعت "جولييت" أن تقرأ على لافتة من الخشب النخر "مستنقع المشنوقين". ارتأت أن يسمى بـ"المستنقع المشئوم". تساءلت عن القصة التي يمكن أن يتعلق بها هذا الاسم ولكن عندما لمحت شجرة بلوط نمت أغصانها – يا للعجب– متعامدة مع الجذع أدركت أن هذه ربما كانت تستخدم كمشنقة.

تفرست "جولييت" في الغابة وأملت أن تعثر على القصر. تعجلت فجأة وصولها. كان الطريق يوصل بعد ذلك إلى جدار موصل بدوره إلى الدخول.

ضغطت "جولييت" على الفرامل واستندت إلى عجلة القيادة بمرفقيها والصقت أنفها بزجاج السيارة وهي تتفحص البناء بدهشة. كان يوجد أمامها بقية أحجار ملتصقة على الجانب الأيمن ببرج كبير يكسوه اللبلاب. أمالت رأسها قليلاً لتنظر إلى الطرف الآخر الذي يبدو أنه شُيد، لكن النباتات المتسلقة تعلقت به وأحاطت بالسور وامتدت حتى واجهته مما أخفى تقريباً النوافذ العالية.

قادت "جولييت" السيارة على جسر الأحجار حتى وصلت إلى حوش مربع تركن به عدة سيارات.

مع صوت المحرك لم يتوان شخص في الظهور أعلى درجات السلم الحجري عند مدخل باب منخفض عليه لافتة خشبية. إنه "باتريك دامون" مساعد "بيير بونفيل". أمسكت حقيبتها الموضوعة على المقعد الخلفي للسيارة وخرجت من السيارة.

أتى الرجل لمقابلتها وقبلها بشكل ودي.

– كيف حالك؟

– بخير. كان لابد أن أصل قبل الآن بفترة ولكنني واجهت صعوبات في الاستدلال على المكان على الرغم من وجود خريطة.

– كنت بدأت أقلق عليك. أوشكت أن أخبر "بيير" أنه لا يمكننا الإخراج. بعد تغيب "كلير" كان مستعداً للتخلي عن الإخراج. إنها فرصة لأنك وافقت على أن تحلي محلها عندما تلقيت مكالمتك الهاتفية.

أخذت تنهيدة.

– حالفني الحظ لأن بروفات المسرحية تأخرت. كان طبيعياً أن نبدأ هذا الأسبوع.

– لابد أنك اشتغلت مع "سيمون بورجوا" أليس كذلك؟

– نعم، قمت بتمثيل دور "كوردليا" في مسرحية "الملك لير".

– إنه مخرج مسرحي ذو موهبة. أحب كثيراً ما يفعله.

اعترفت قائلة:

– حقيقة الأمر أنني تحدثت عنها كمشروع نهائي ولم أعط رداً محدداً.

– ولماذا؟

– خشيت الالتزام بهذا العمل. لست واثقة تماماً بنفسي. ثم إن التمثيل الذي قمت به مع شركة "مويت" متعب جداً ولهذا مازلت أنتظر.

– ولكن لابد أن يعتمد عليك!

– توجد ممثلات كثيرات يقمن بهذا الدور.

قال وهو يجذبها إلى المدخل:

– على أية حال وجودك يُعد خدمة جليلة لنا. ستتعرفين على فريق العمل. إنهم عطوفون للغاية كما سترين.

– هل "بيير بونفيل" موجود هنا؟

– ذهب للقيام بجولة لاستكشاف الديكور.

– لكن الليل قد حان!

– لابد أنه مثل القطط يرى بالليل أفضل!

– مخرجك هذا يموء أم يتكلم؟

توقف "باتريك" مفكراً.

– إنه شخصية عجيبة. يبدو غائباً تماماً.

– شخصية حقيقية للقط إذن؟

ابتسم الشاب ودفع الباب وترك "جولييت" تمر.

كانت الحجرة التي دلفت إليها عبارة عن صالة كبيرة لها قبة وأرضيتها مُبلطة بالأحجار. كانت توجد على جدرانها العارية أخيلة، متعرجة ألقتها نيران الخشب الذي يحترق في المدفأة الكبيرة. أدار الأشخاص الأربعة – الذين كانوا واقفين بالقرب من المدفأة– رءوسهم. كانوا ثلاثة رجال وامرأة. تقدمت وقدم كل واحد منهم نفسه مع ابتسامة وترحاب. تعرفت هكذا على "جان دينيس" مصور البلاتوه وعلى "فرانسوا" رجل الكاميرا وعلى "بيريكل" الكهربائي الذي حدد أنه على علم بكل شيء حيث يهتم أيضاً بالصوت، ثم على "ألين" مساعدة المخرج ومتعددة المهام هي الأخرى حيث تتكفل بمهمة الماكياج والملابس. بما أن "جولييت" دهشت لعدم رؤيتها "جوليان روبرت" الذي سيقوم بدور البطولة أوضحوا لها أنه سيأتي حتماً غداً.

أعطتها "ألين" كأس شراب وطبق ساندوتشات. جلست "جولييت" بالقرب منهم على الأغطية التي وضعوها على الأرض.

ألقت نظرة من حولها.

– هل تم تأجير القصر من أجل التصوير؟

أجابها "باتريك":

– لا، إنه ملك "بيير".

قالت في قرارة نفسها: "ملاذ غريب". وهي تلاحظ الشعار الذي يزين برقع المدخنة حيث نُقشت ريشة وزة وقرص الشمس. وفقاً للتاريخ المنقوش على القصر فإنه يرجع إلى القرن الثاني عشر.

قالت بصوت عال:

– لم أظن أنه يمكن بناء قصر محصن في منتصف الغابة.

WWW.REWITY.COM
مرمورية

قال "باتريك" مفسرا:

– إنه ليس قصراً محصناً ولكن مكان للصلاة حيث عاشت طائفة دينية. ثم شغله بعد ذلك شخص يدعى "نيكولاس شانتلوب" وهو بحاثة شهير ومتعمّق قام بترجمة النصوص وكتب قصائد ربما جاء اسم القصر من أحدها.

– فكرتُ أيضًا في أرضيته الرملية. من المدهش أنها تحملت مثل هذا البناء.

– هناك جزء منه قد انهار.

تعجب "جان دينيس":

– مدهش! آمل ألا يسقط الجزء المتبقي على رءوسنا.

سألت "جولييت" وهي تستدير نحو "باتريك":

– السيناريو مأخوذ إذن من الأسطورة التي وقعت هنا؟

– نعم، إنها تؤرخ إلى العصر الذي عاشت فيه جماعة المتدينات هنا.

قالت "ألين":

– يا لها من قصة بشعة! سنلهو بالماكياج!

اقترح "باتريك" وهو يضحك:

– الحل العملي هو أن ننتزع عيني "جولييت"!

أجابته الفتاة:

– غريبة جداً! لا تنس أن الأسطورة تتحدث عن رجل مات من الحب من نظرة امرأة. وأنا لم يمت أحد من عشق عيني! عدا الرجل الطيب الذي قابلته لدى مجيئي هنا والذي وجد أن عيني زرقاوان جداً.

– من قال لك هذا؟

استدارت "جولييت". كان هناك رجل طويل واقف خلفها، انحنى

ليصافح يدها.

– "جولييت مايانس" على ما أعتقد؟ أنا "بيير بونفيل".

ابتسما لبعضهما ثم قال وهو يجلس ويأخذ كأساً.

– إنه "مارتان" بالتأكيد. لا يوجد أحد هنا سواه.

– إنه يرتدي زي حارس الغابة.

– إنه هو إذن. لقد ارتأى أن عينيك زرقاوان جداً؟

– هذا ما أخبرني به.

نظر "بيير بونفيل" إلى "جولييت" في صمت ثم استدار نحو المدفأة. اغتنمت هي هذه الفرصة لتتفحصه. كان وجهه مقبولاً ويوحي بالتعاطف. إنه يشع شيئًا ما هادئ. كان يبدو هادئًا بالفعل وربما صامتًا قليلاً.

ناولوه طبق الساندوتشات وخدم نفسه ثم استدار من جديد نحو "جولييت".

– رأيتك قبل ذلك منذ ثلاث سنوات في مسرح "نانتير" في مسرحية "دائرة الطباشير القوقازي". كان النقاد ممتدحين للغاية.

هزت "جولييت" رأسها:

– إنها أول خطواتي على المسرح!

– ما عمرك؟

– اثنتان وعشرون سنة.

أعاد الساندوتش الذي أخذه لتوه وأمسك الغليون الذي أخرجه من جيب سترته القطيفة السوداء. لاحظت "جولييت" التجاعيد الخفيفة الموجودة على جبهته. لابد أن "بيير بونفيل" شخصية قلقة ومنغلقة.

– كيف حال ساق "كلير" المكسورة؟

WWW.REWITY.COM
مرمورينا

ظلت "جولييت" مندهشة عدة ثوان وقطبت حاجبيها والقت حينذاك نظرة على "باتريك" الذي اخذ يسعل فجاة ورات انه اشار إليها إشارة حذر. قالت:

– آه.. إنها بخير.

أدركت أن هذا ما لا يجب أن تنطق به واستطردت برعونة:

– أقصد أنها تتحسن.. منذ هذا الحادث البغيض.

نظرت من جديد إلى "باتريك" الذي رفع كتفيه بحركة عجز.

قال "بيير بونفيل" ملاحظًا بصوت منخفض:

– بالنسبة إلى ممثلة فإنك تكذبين بشكل سيئ. لكن هذا غير مهم. وأنت يا "باتريك" كف إذن عن اللعب من ورائي.

لاحقه الشاب قائلاً:

– تعتبر نفسك "أرجو"، يا للعجب!

سالت "آلين" وقد اهتمت فجاة بالحوار:

– من "أرجو"؟

قال "جان دينيس":

– كيف تكونين مساعدة مخرج وتكونين امية تمامًا! "أرجو" هو من يرى كل شيء. لديه عينان على كل الجسم.

– ولهذا أنت مصور كما تقول. يمكنك أن تلتقط عشرات الصور في الوقت نفسه!

تناثر كلام على النبرة نفسها. فكرت "جولييت" في شيء آخر، لماذا اختلق "باتريك" قصة الحادث هذا والساق المكسورة؟ عندما التقيا معًا قبل أسبوع قالت "كلير" صراحة إن هذا الدور لم يعد يهمها طالما عُرض عليها دور أكثر أهمية. هل اغتاظ "بيير بونفيل" من صراحتها؟

حدثت حركة مفاجئة قطعت أفكارها فجاة. من الواضح أن الأمر يتعلق بالتنظيم من أجل مجيء الليل. لقد وصل الآخرون أيضًا في النهار.

سأل "بيريكل":

– هل أنت متاكد من وجود كهرباء هنا؟

قال "بيير بونفيل":

– بالتاكيد حتمًا.. لقد نسيت أن أشغل العداد.

غادر الصالة لعدة دقائق ثم عاد وضغط على قاطع التيار. غطى الضوء انحاء الغرفة التي بدت شبه خالية عدا معدات الإخراج، ولم يكن هناك أي شيء سوى المدفاة التذكارية التي استمر الحطب في الاحتراق بها.

بادر "بيير بونفيل" بطمانتها لما رأى الدهشة تعتري وجه الفتاة.

– الغرف مريحة جدًا. كنا نريد تهيئة هذه الغرفة أيضًا لكن لم يُتح لنا الوقت لهذا. لم آت إلى هنا منذ أربع سنوات عندما غرقت زوجتي في المستنقع.

نظرت "جولييت" إليه بدهشة. لقد تحدث بلا أي انفعال. تذكرت المستنقعات التي تحيط بالقصر وتخيلت جسدًا يطفو ويتصارع مع الماء، لكنه يبلعه. ارتعدت "جولييت" وتوجهت آليًا نحو حقيبتها وأخرجت منها بلوفر أحمر من الصوف السميك.

كانا بمفردهما حينئذ في الحجرة. لقد صعد الآخرون إلى الطابق الأول الذي يقود إليه سلم حلزوني كان يخفيه باب صغير. وصلت أصواتهم إليهما على الرغم من سُمك الجدران فدهشا بشدة.

جلست "جولييت" من جديد بالقرب من المدفاة. كانت عينا "بيير بونفيل" هائمتين. استدار نحوها وقال:

www.rewity.com

– ألن تشاهدي الغرف؟

قالت دون أن تتحرك:

– بلى، بلى.

– تعالي إذن، سأصطحبك.

تبعته. كان السلم يؤدي إلى رواق واسع الذي كان فارغًا من الأثاث عدا بعض السجاجيد التي تزين الأرض. مررت "جولييت" رأسها من فتحة الباب ولاحظت سريرًا مغلقًا له مصراعان من الخشب.

قالت "الين" شاكية وهي تخرج من الحجرة الصغيرة:

– لن يمكنني النوم على مثل هذا السرير! هذا سيصيبني بالخوف من المكان!

ثم أضافت وهي تنظر إلى "جولييت" التي تمددت عليه:

– تعالي، لتجربيه.

– إنه يشبه الدولاب بالفعل، ولكنك لست مضطرة إلى غلق مصراعيه. ثم انظري إلى ثقوب التهوية.

– وإذا تعمد أحد غلقها؟

قال "بيير بونفيل" وهو يضحك:

– لا تقلقي. لقد بيع القصر إليّ بدون أشباح أو مصاصي الدماء.

– أشباح أو غيرها سأضع المرتبة على الأرض.

دوت صرخة كئيبة فجأة وراءهم. استدار الثلاثة فجأة. هناك خيال مغطى بملاءة بيضاء يحوم في الرواق. صرخت "الين". لكن صدرت في الوقت نفسه قهقهة ضحك من تحت الملاءة وظهر "جان دينيس" من وراء تنكره في شكل شبح.

قالت "الين":

– آه! يا للخبيث!

نظرت "جولييت" إليهما باستمتاع. سألها "جان دينيس":

– ألا تخيفك الأشباح؟

– عندما تكون صامتة وغير مرئية فقط.

قالت "الين":

– إنها لا توجد إذن في هذه الحالة.

– إنها توجد لو تخيلناها هكذا.

قالت "الين":

– آه، أشك. هلا تحدثنا عن شيء آخر؟

في هذه اللحظة لاحظت "جولييت" أن "بيير بونفيل" غادر الغرفة. اعتذرت للاثنين وخرجت إلى الرواق. كان "بيير بونفيل" موجودًا في وسطه عند منفذ الباب. لحقت به وسألته عن مكان إقامتها. بدا أنه لم يسمع ما قالته. لمست ذراعه برقة. ارتجف ونظر إليها بدهشة. ثم قال بعد فترة صمت:

– أوه! عفوًا. يمكنك أن تنامي هنا.

ألقت "جولييت" نظرة خاطفة على الغرفة. كانت الجدران مزينة بالأطر الخشبية وبسرير كبير في الركن وبخزانة مثبتة. عندما استدارت من جديد نحو "بيير بونفيل" كانت عيناه مصوبتين عليها دائمًا. ابتسمت "جولييت" واضطربت فجأة من هذه النظرة الملحة. تشنج وجه "بيير بونفيل" قليلاً كما لو كان تحت تأثير ألم غير محسوس.

– كنت محقة بشأن الأشباح: تلك التي نتصورها مخيفة جدًا.

رفعت "جولييت" حاجبيها. بدا "بيير بونفيل" هائمًا في أفكاره من جديد، ودون أن ينطق بكلمة عبر الرواق وفتح الباب وأغلقه وراءه.

www.rewity.com مـــرمـــوريـــة

ظلت "جولييت" تحملق لثوان إلى هذا الباب المغلق وهي مندهشة من تصرف المخرج.

– حجرتك هذه ليست سيئة!

كان هذا صوت "ألين" التي أتت لتتفحص الغرفة.

– لديك على الأقل سرير طبيعي!

ابتسمت "جولييت" واقترحت:

– يمكنك النوم هنا.

– ألن يضايقك هذا حقيقة؟

هزت "جولييت" رأسها:

– لا، الأمر سواء عندي.

– إنني أبغي هذا إذن. سأذهب لإحضار حاجياتي.

سارت "جولييت" معها ثم نزلت السلم.

كانت الصالة الكبيرة صامتة، وكانت النار تحترق في المدفأة. أخذت "جولييت" حقيبتها وأطفأت النور وعاودت الصعود.

في الغابة كان البوم ينعق ويرد على بعضه.

الفصل الثاني

بمجرد أن دخلت "جولييت" حجرتها غيرت ملابسها وانتبهت إلى صراخ البوم، وتصورت عيونها المستديرة المفتوحة على الليل. هذه الصرخات بها شيء مزعج مثل النداء.

تمددت على سريرها وتركت المصراعين مفتوحين. عاودت التفكير في موقف "بيير بونفيل"، ودون أن تعرف السبب تذكرت أيضًا الرجل العجوز.

كانت تحاول النوم عندما طرق أحد برقة على الباب.

جذبت الأغطية عليها وسألت من الطارق.

– أنا "باتريك".

– ادخل.

– عفوًا. هل كنت نائمة؟

– كان أحد مشاريعي. ماذا تريد؟

– شعرت بالحماقة عندما سألك "بيير" عن حال "كلير مانسي".

– لماذا قلت له إن ساقها مكسورة؟ ألا يكفي الخلع البسيط؟

هز "باتريك" كتفيه:

– كنت متأكدًا من أنها لن ترفض الدور، وأعلم الظروف التي سيعيد "بيير" إظهارها على السطح.

– هناك دلائل بأنه لم يكن من الواجب عمل هذا.

– لقد تخلى الجميع عن "بيير" منذ أربع سنوات على الرغم من كونه مخرجًا ممتازًا. لقد عملت معه كمساعد، كما إنه رجل شريف للغاية. كانت ضربة قاسية له، ولم أكن أرغب في أن أقول له إن "كلير" قد وافقت على الدور فقط لأنه ليس لديها أي دور آخر تحت يديها.

– من ينتج هذا الفيلم القصير؟

– "بيير" هو منتجه. لقد كتب كتابًا در عليه بعض المال ثم أخذ سلفة على عائد الربح.

– لماذا اكتفى بهذا الفيلم القصير؟

– ستعرفين.. لقد أصبح غريبًا جدًا.. صامتًا.. لم يعد يتحدث كثيرًا.

– هذا بسبب الضربة القاسية التي تحدثت عنها؟

WWW.REWITY.COM
مرمورية

– في أثناء التصوير كان هناك إضراب وقد انحاز لمن قاموا به. فسخ المنتج العقد. وفي هذا العام نفسه غرقت زوجته وغادر "فرنسا". لم يُعثر على جسدها وهذا ما خلق مجموعة من التعقيدات..

هزت "جولييت" رأسها في صمت وقالت في النهاية:

– تحبه كثيرًا أليس كذلك؟

– تعلمت مهنتي معه. إنه شخص رائع.

– وتكذب على الناس الرائعين؟

– على أيه حال نحن نكذب دائمًا. الكذب يحمي الجميع.

– عدا إذا كان المرء أحمق.

– أعلم أنه تظاهر بتصديق قصتي. إنه ليس من النوعية التي تناقش... باختصار، إنني متأسف لأنني وضعتك في هذا الموقف المحرج.

– هذا صحيح. كان يمكنك أن تطلعني على الأمر كما كان يقول رفيقك "بيريكل".

مرر "باتريك" يده بود في شعرها وقال قبل أن يغلق الباب:

– إنك جميلة حقًا. صحيح، إن عينيك زرقاوان للغاية!

تنهدت "جولييت" ودست نفسها تحت الأغطية وابتسامة رقيقة تعلو شفتيها.

كان القصر غارقًا الآن في صمت تام. لقد سكت البوم. مدت "جولييت" ذراعها نحو منضدة السرير وأطفأت النور. بعد عدة ساعات انتفضت في نومها. تقلبت عدة مرات ثم استيقظت منتفضة. هناك شخص يصرخ. ألقت بالأغطية وقفزت من على السرير وارتدت برنس الحمام وأسرعت إلى الرواق. الصرخة آتية من حجرة "الين". لقد ظهر

الآخرون أيضًا وهم مذعورون.

سأل "جان دينيس":

– ماذا حدث؟

لم تجبه "جولييت" وجرت نحو الحجرة. كانت "الين" الجالسة في سريرها فريسة لنوبة عصبية. اقتربت "جولييت" منها وهزتها.

تلعثمت "الين":

– يوجد أحد هنا. كان هناك رجل مال عليّ.

قالت "جولييت":

– هيا، لابد أنك رأيت حلمًا مخيفًا.

– لا، لم أحلم قط.

أحاطهما "جان دينيس" و"باتريك" و"بيريكل" و"فرانسوا".

ألقت "جولييت" نظرة متشككة عليهم.

– هل هو أحدكم أيها المهرجون؟

نظروا إلى بعضهم بدهشة وأجابوا في صوت واحد جعل "جولييت" مقتنعة بصدقهم.

– لا.

قالت "الين" متأثرة:

– لا أريد النوم بمفردي. بالإضافة إلى أنني أخشى دائمًا القصور.

اقترح "جان دينيس" بنبرة الحامي:

– يمكنني النوم معك في الغرفة.

تجاهلت "الين" الاقتراح واستدارت نحو "جولييت":

– ألا يضايقك أن تبقي معي؟

– إذا كان هذا يطمئنك فلا مانع عندي.

www.rewity.com

توارى الشبان الأربعة. تمددت "جولييت" إلى جوار "آلين" التي لم تتوان عن النوم هادئة. ظلت "جولييت" متيقظة فترة طويلة. إن "بيير بونفيل" هو الوحيد الذي لم يستيقظ على الرغم من أن حجرته مقابلة لحجرة "آلين". بدون شك أنه يغط في نوم عميق حتى أنه لم يسمع صرخات الفتاة التي دوت في كل الطابق. تقلبت "جولييت" ونامت بدورها.

عندما أتى الصباح غطيت الحجرة بألوان زجاجية تزين النوافذ. إن أشعة الشمس تغمر الحجرة مثل المشكاة.

ألقت "جولييت" نظرة على ساعتها. إنها السادسة صباحًا. كانت "آلين" لاتزال نائمة إلى جوارها. تفرستها للحظة. ربما يكون عمر الفتاة كعمرها لكن وجهها يبدو طفوليًا. نهضت وفوجئت بانعكاس خيالها في مرآة متحركة تشغل أحد جوانب الغرفة. كان جسدها طويلاً ونحيفًا. اقتربت من المرآة وتفحصت وجهها بعين ناقدة: وجنتان كبيرتان وجبهة عريضة وفم كبير جدًا.. تركت شعرها ينسدل على كتفيها في خصلات متشابكة. ذات يوم حينما كانت لاتزال تلميذة في المدرسة اعتقد أحد زملائها المعجبين بها أنه يسعده بأن يخبرها بأنها تشبه "لوران باكال". لكنها أجابته بجملة تحاكي بها "بوجار": أيمكنني أن أصفعك عندما أشعر بالحاجة إليك؟ لقد فهمها الولد خطأ وظلت علاقتهما كما هي. عرفت "جولييت" اعتبارًا من هذا اليوم أن الرجل الوحيد الذي يمكن أن تحبه لن يكون مكدرًا للصفو بشكل مضحك هكذا. لقد تصورته منذ ذلك الحين رجلاً قويًا سيضعها بمنأى عن أي لطف متكلف.

حينما كانت تتجه نحو الباب تعلقت نظراتها بعلامات داكنة على

السجاد. انحنت. إنها آثار على الأرض لنعلين عريضين.

نهضت "جولييت" مضطربة وقطبت حاجبيها. كانت الآثار لاتزال رطبة. إن "آلين" إذن لم تكن تحلم بتواجد أحد بالليل. شخص ما دخل هنا. تساءلت عمن يمكن أن يكون، وما هدفه في إخافة الفتاة.

تركت الغرفة وهي تفكر وعادت إلى حجرتها حيث ارتدت بنطلون جينز وقميصًا أزرق ونزلت إلى أسفل.

في الصالة بالأسفل كانت النار تطقطق. لاحظت "جولييت" منفذًا آخر غير منفذ السلم. دخلت إليه واكتشفت في نهاية الرواق مطبخًا كبيرًا يوجد في منتصفه منضدة كبيرة من البلوط. توقفت على العتبة: الرجل الذي شاهدته في الغابة موجود هنا ويدير ظهره لها وهو مشغول بوضع الخشب في موقد الطبخ. كان يمسك الحطب مثل العسلوج الصغير.

قالت "جولييت":

- صباح الخير.

استدار الرجل فجأة وتأملها بدهشة.

رد عليها التحية من بين أسنانه ثم واصل ما كان يفعله.

ألقت "جولييت" نظرة على الغرفة. كانت الكسرولات الموجودة بأعلى الحوض القديم لامعة. إلى جانب إحدى الجدران كانت منضدة العصر تبرق هي الأخرى.

سألت الرجل العجوز الذي استمر في عمله دون أن يعيرها اهتمامه:

- هل تقوم بالعناية بالقصر؟

تمتم ببعض الكلمات غير المسموعة ووضع الماء في الغلاية ووضعها بلا رقة على الموقد.

نهضت "جولييت" ونظرت من إحدى النوافذ المربعة الصغيرة. كانت الشمس لاتزال خفيفة في السماء. انفتحت النوافذ على مؤخرة القصر. تحت واجهة الدير الروماني المجاور لكنيسة محطمة بها تماثيل مشوهة وقد غطتها الأشجار التي نمت على حطامها.

– إلام تنظرين بهذا الشكل؟

استدارت "جولييت" ودهشت من النبرة السمجة للرجل الذي أضاف قائلاً:

– لا يجب الذهاب هناك. إنه خطير ويمكن أن ينهار.

– إنها كنيسة كبيرة بالحكم على ما تبقى منها.

كرر وهو يضع على المائدة إبريق قهوة وبعض الخبز:

– إنه خطير.

ثم أدار عقبيه وترك المطبخ بخطى ثقيلة.

ألقت "جولييت" عليه نظرة خاطفة. لاحظت على وجه الخصوص الحذاء العالي المصنوع من الجلد الأسود الذي ترك على الأرض الحجرية الخشنة آثاراً واضحة. أعادت التفكير في الآثار التي رأتها في الغرفة. قالت لنفسها: "يا للغرابة! ما الداعي الذي يجعله يتسكع هكذا في الليل؟"

بعد أن شربت القهوة خرجت من الباب المقوس.

مشت عدة خطوات وتجنبت الاقتراب من الحطام. لما أعادت التفكير في موقف الرجل العجوز ونمط الحياة الذي يمكن أن يعيشه في هذه المنطقة النائية كانت قد وصلت إلى "مستنقع المشنوقين". توقفت فجأة. على بعد عشرين متراً منها كان يقف "بيير بونفيل" ساكناً على شاطئ الماء.

عضت "جولييت" شفتها وفكرت فيما قد يشغله. ألقت نظرة على الماء المغطى بنباتات النيلوفر. على الرغم من أنه يُسمى مستنقعاً فإن به شيئاً هادئاً ومريحاً. فكرت في أنه ليس مكاناً للاستحمام، وتساءلت كيف غرقت زوجة "بيير بونفيل" به. لا توجد أي وعورة أو انحدار مخيف.

استدارت "جولييت" ودخلت القصر برصانة. كان الفريق يوجد باكمله في المطبخ لكي يتناقشوا ويمزحوا. هناك وافد جديد لا يمكن أن يكون سوى "جوليان روبرت". قدمهما "باتريك" إلى بعضهما ثم تركهما ليتحدثا في خطة العمل.

كان "جوليان روبرت" له وجه ذو قسمات منتظمة وابتسامة تكشف عن بياض أسنانه. كان وسيماً، ويبدو أنه يعرف ذلك. كان صوته به نبرة عذبة مليئة بالحماس. ألزمت "جولييت" نفسها بأن تبدو ودوداً وتدرك تماماً أن هذا الانطباع الأول سيستمر طوال أسبوع التصوير. كانت أول ذريعة هي الابتعاد عنه، وارتأت ببعض المرارة أنه يسهل عليها أن تمثل على المسرح أفضل من الحياة.

كان الجميع من حولها يعملون. كان "بول" ينقل أسلاك الكابلات الكهربائية و"فرانسوا" يتحقق بعناية من مواضع الكاميرات و"جان دينيس" يغدو ويروح ليضبط جهازه أيضاً.

– توقفي، ليس لدي الوقت! لا تكفُّين عن الصراخ يا "الين".

– ستكونين سعيدة بذكرى التصوير وبي أيضاً في الوقت نفسه.

قال "بول":

– آه! الاثنان! إنه الفيلم الثالث على الأقل الذي أعمل فيه معهم ودائماً تقال القصص نفسها! أرى أنه توجد منازعات بينكم. لابد أن

تناموا معًا فهذا سيفض الأمر.

قالت "الين":

– عقلية جميلة أن تخضع هذا الشخص لعلاقات.

سأل "جان دينيس" مداعبًا:

– من الذي تحدث عن عمل علاقات؟

قالت "الين" التي كانت تبحث بعينيها عن مكان لوضع الملابس:

– أوه! المزرعة؟

لاحظتهم "جولييت" والابتسامة تعلو شفتيها. كان "جوليان روبرت" يقرأ السيناريو في أحد الجوانب. كان يبدو مثل التلميذ المثابر.

لقد حول الفريق المطبخ إلى الحي العام الذي يريدونه، وعلى المنضدة تكومت مجلات الفيلم والشرائط السينمائية ومرآة وعلبة الماكياج. كان الوسط مبهجًا ومريحًا عن مثيله في أثناء بروفات المسرح.

– "جولييت"!

أدارت رأسها. أدار "جان دينيس" محرك "النيكون" وهو يلف حولها. تركته "جولييت" يفعل هذا وتابعت حركته وهي تضحك.

دخل "بيير بونفيل" في هذه اللحظة. كان واضحًا على وجهه الحزن الشديد. توقفت "جولييت" عن الضحك واللف، وقد بدا التأثر عليها من الحيرة التي تصطبغ على وجهه.

أحس "بيير بونفيل" في هذه اللحظة بهذا الاهتمام الصامت. نظر كثيرًا إلى الفتاة ثم ابتسم وكأنه يقول إن كل شيء على ما يرام.

قال "باتريك" وهو يتقدم نحوها:

– يمكننا البدء في الإعادة. أعتقد أنه يمكن البدء بتحريك الكاميرا باليد من اللقطة الرابعة حتى يمكن الاستفادة من الشمس في المناظر

الخارجية.

تأملته "جولييت" عدة لحظات. كان يبدو غائبًا تمامًا كما لو كان آخر من يعنى بما يحدث. ما إن أدار رأسه نحوها حتى خفضت عينيها: إنها لا تريد أن تبدو مزعجة. صاح "باتريك":

– هيا بنا إلى البروفات.

الفصل الثالث

كان المشهد يخص "جولييت" فقط. إن الفيلم كله مبني على وجهة نظر شخصيتها: فتاة متدينة تقع في فخ نظرة الرجل العاشق الذي هربت منه، وهي مقتنعة بأنه يطاردها بهدف امتلاك نظراتها وإخضاعها تحت رحمته بحرمانها من إرادتها. إن بحث هذا العاشق في الحقيقة كان مبتذلاً: كان يريد أن يحب ويُحب. لكن الشابة الراهبة – في ظل حماقتها– ستنكر طلب الحياة والحب.

عندما ستظهر أمامه وعيناها مصوبتان على صينية من الفضة ستقوم بخطوة واحدة في تلك الرحلة التي لن تعود منها. بما أن عينيّ حبًا فانصحك بأن تأخذ معك ما يثير ويؤجج رغباتك على أن يحافظوا – هم– على شرفي". لم يكن أمام الأمير الشاب المنجذب إلى هذا الوجه الخالي من النظرات وبلا حياة الآن أي ملاذ آخر غير شنق نفسه في شجرة بلوط المستنقع.

عما قريب أدار "باتريك" المحرك التقليدي وأعلن "جان دينيس" عن تصوير المشهد. كان "فرانسوا" – الذي يحمل الكاميرا على كتفه– ينظم خطواته على خطوات "جولييت" التي كانت تمشي مخفضة عينيها على يديها المضمومتين على مسبحة من نبات "البقس" وترتدي

فستانًا من النسيج، وكان شعرها مبتلاً مثل شعر السيدة "بوتشيلي".

في ساعة الغداء عاد الفريق إلى القصر. لقد جهز "مارتان" المائدة وأعد الوجبة. نشطت حركة قدميه اللتين تطرقان البلاط دون أن ينطق بكلمة.

سأله "بيير بونفيل":

– ألن تأكل معنا؟

هز الرجل الطيب رأسه في صمت.

قال "باتريك":

– بالمناسبة يجب أن ألقي نظرة على الدير. وفقًا لما أمكنني رؤيته منه فإن الأرض بداخله وعرة. يجب بناء سطح وتنظيف الأنقاض.

تعجب "فرانسوا":

– تبدو مهتمًا. لا يمكنني أن أنظر إلى فتحة الكاميرا وفي الوقت نفسه أنظر إلى موضع قدمي.

قال "جان دينيس" مازحًا:

– الأفضل بالنسبة إليك أن تكون عيناك في قدميك، أو بما أنك لن تستخدم إلا عينًا واحدة من أجل الكاميرا فإنه يمكنك أن تضع الأخرى في طرف أحد إبهاميك.

لاحقه "فرانسوا":

– سيمكنني أيضًا أن أضع قدمي في أي مكان.

قال "جان دينيس" وهو يحك أعلى رأسه:

– لا أفهم حقًا ما تقصده.

قالت "الين":

– إنك ممثل بارع.

قال "جان دينيس":

– أفضل شاي "سيلان" على الشاي الهندي.

قال "بيريكل":

– مضحك حقًا، لكنني أراك بطيئًا في إعطائي الملح.

صاح "فرانسوا" وهو يقلد حركة القطار:

– إنه بطيء، بطيء!

لم تستطع "جولييت" – التي تلاحظ "مارتان" منذ أن تحدث "باتريك" عن الدير– أن تمنع نفسها من الضحك طالما كان الكلام المثار ليس له أي معنى. ومع ذلك توجهت بنظراتها إلى الرجل العجوز الذي كان ينظر إلى "باتريك" وكأنه منوم مغناطيسي من وقت لآخر. كانت عصبية خفيفة تبدو على وجهه. يبدو أنه يتعرض لنوع من المعاناة الداخلية.

– أتريدين شرابًا؟

أدارت "جولييت" رأسها نحو "بيير بونفيل":

– عفوًا.

– أسألك إذا كنت ترغبين في تناول شراب.

– نعم، شكرًا... أوه! كلا، شكرًا.

قال "جان دينيس" بنبرة وقار مصطنعة:

– الممثلة كائن ذات مزاج متقلب، أولاً لأنها امرأة وثانيًا لأنها ممثلة.

صاح "بيريكل":

– برافو! مرافعة جميلة أيها المحامي العزيز! لكنك سلبي لكونك مصورًا.

– شكرًا يا عزيزي لأنك أضأت شمعتي هكذا.

قالت "الين" :

– كفى. لابد أن تقدما عرضًا معًا. لن يستمع إليكما أحد بالتأكيد، لكن هذا سيتيح لاثنين من العاطلين الجادين في أن يكون لديهما عمل.

اعترض "جان دينيس" :

– لا يمكن أن يكونا عاطلين وجادين. إنها وظيفة مزدوجة، وهذا ممنوع قانونًا.

قال "بيريكل" مبتهجًا:

– ثم إنه يتعذر استبدالنا. السينما الفرنسية تتخلص ممن هم على شاكلتنا.

قال "باتريك" :

– عجبًا، بخصوص التخلص فإنه يجب أن ننظف مدخل الكنيسة مما تبقى بها على الأقل.

تعجب "جان دينيس" :

– في هذه الحالة فإنني أطلب قبعة وقسط تامين ونشر مذكراتي إذا انتقلت من الحياة إلى الموت.

لاحقه "بيريكل" :

– الموت كلمة مجنونة إلى حد ما، أليس كذلك؟

عندما نهضوا من على المائدة اقترب "بيير بونفيل" من "جولييت".

– كنت تبدين شاردة في أثناء تناول الطعام.

تفرسته في صمت وألقت نظرة غامضة في اتجاه "مارتان" الذي كان يلاحظهما بدوره. نظرت من جديد إلى "بيير بونفيل"، ورغبت في أن تحدثه عن السلوك الغريب للعجوز، ولكنها امتنعت وهي تعتقد أن لديه مشاكل أخرى في رأسه.

ابتسمت له:

– لا، لا.. إنني مصغية.

– بأذن شاردة.

نظرت إليه بدهشة من أنه كان منتبهًا إليها دون أن تلاحظه. أضاف قائلاً:

– إنني سعيد جدًا بأننا نعمل معًا.

نظرت إليه بدهشة وقالت:

– أحب جيدًا الطريقة التي ترغب في بناء فيلمك بها.

قال وكأنه يفكر:

– آه، كنت أحلم دائمًا بعمل فيلم يشبه الجملة الطويلة وتجسده حركة الممثلين والكاميرا، فيلم بلا كلام ولكنه لن يكون صامتًا.

ابتسمت "جولييت" من جديد:

– ستفعل ذلك بالتأكيد.

– لا أعتقد.

نظرت إليه "جولييت" وهي متحيرة من النبرة المقطبة التي يتحدث بها. قهقه حينما أدرك فجأة نبرة التشاؤم في كلامه.

– ليس كثيرًا ولكنني سقطت في السجل الحزين!

– لن أدعك تفعل هذا.

– بلى، إنك مهذبة للغاية. ستقولين لنفسك: "ما هذا الشخص الذي يكرر المبتذل التافه؟" وستتركينني أتحدث".

قالت معترفة:

– لا أعلم.

نادى "باتريك" من الخارج:

www.rewity.com

– "بيير"، أيمكنك المجيء لحظة؟! لدينا مشكلة صغيرة.

خرجا ومشيا نحو الدير حيث كان في انتظارهما مشهد غريب: "مارتان" كان يقف أمام رواق الكنيسة ويبدو مثل التنين الذي يريد الدفاع عن الدير بأي ثمن. صمت الجميع دهشة من موقف الرجل الضخم الذي يبدو عازمًا على عدم التحدث مع أحد.

خفض "باتريك" ذراعيه بشكل محبط وسأله "بيير" وهو يتقدم نحوه:

– ماذا حدث؟

– إنه يتحدث عن انتهاك الحرمات وقذف الشتائم ومنعنا من دخول الكنيسة الصغيرة.

توجه "بيير بونفيل" الدهش نحو "مارتان" وحدثه برقة:

– اعلم يا "مارتان" أنك حارس هذا القصر والدير. لن نلمس شيئًا. سنضع فقط الواحًا ثم نرفعها بعد ذلك. هذا كل ما في الأمر.

– لماذا عدت مع زوجتك؟

وأشار باتجاه "جولييت". نظر "بيير" إلى الاتجاه المشار إليه وقال:

– إنها ليست زوجتي. زوجتي ماتت يا "مارتان" في المستنقع منذ أربع سنوات وتعلم أنت هذا. اتذكر؟

فتح الرجل العجوز عينيه كما لو كان يسعى إلى أن يفهم وكرر برقة:

– في المستنقع؟ ماتت في المستنقع؟

– نعم، لقد غرقت.

أسقط "مارتان" ذراعيه وأسدل رأسه وتقوس مثل الشجرة ثم ابتعد. أصاب هذا الشخص الغريب الجميع بالدهشة، لقد بدا أن "بول" و"جان دينيس" فقدا لسانيهما. نظر "فرانسوا" إلى طرف حذائه. ظلت

"جولييت" و"آلين" فاغرتي فميهما.

قال "باتريك":

– حسنًا، لا تقفوا هكذا! إلى العمل!

قام "بيير بونفيل" بعدة خطوات وهو يمرر يده بعصبية في شعره.

علقت "آلين":

– من الواضح أنه ستحدث أشياء غريبة هنا!

قال "جان دينيس":

– لن تعيد هذا.

– وما حدث في تلك الليلة إذن، أتراه طبيعيًا؟

سأل "بيير بونفيل" وهو يعاود أدراجه:

– ماذا حدث في تلك الليلة؟

– هناك شخص دخل غرفتي! إلى حجرة "جولييت" حيث إننا قمنا بتبادل حجرتينا.

قطب "بيير بونفيل" حاجبيه:

– كنت تحلمين بلاشك.

قال "جان دينيس":

– بالتأكيد كانت تحلم، هذه الصغيرة لديها تخيل كبير!

أصرت "آلين":

– على أية حال سأغلق بابي بالمفتاح هذا المساء.

ظلت "جولييت" بعيدة وهي تعيد التفكير في الآثار الموحلة وفي كلام "مارتان" في الصباح نفسه: "إنه خطير.. ويمكن أن ينهار". نسيت ما كان يحزنها وانتبهت إلى متابعة تعليمات المخرج في أثناء التصوير الذي كان قد توقف. في حقيقة الأمر كان "بيير بونفيل"

يتكلم قليلاً. يبدو أنه يستريح لمساعده ومدير التصوير. لقد قال له: "حاول أن تعتقد أن هذه الفتاة ستهرب بنفسها. إن الرجل الذي يغازلها يعيش ولكنها تعيش في فزع وهمي".

في أثناء فترة الاستراحة كانت نظراتهما تتلاقى مع بعضها.

أحست "جولييت" حينذاك بأنها تعرفه منذ أمد طويل. لأول مرة في حياتها يحيرها رجل بهذا الشكل. لم تكن تعرف حقيقة سبب انجذابها نحوه. ربما هذا الهدوء المصطنع الذي يظهره ويخفي وراءه همًّا شديداً. ثم اتجهت نظراته نحو "جوليان روبرت".

– أنت تنظر إليها لكنها لا تراك. إنك واقف وهي التي تمشي فقط.

كان "جوليان روبرت" يرتدي سترة سمراء مع حزامها وخنجراً من الفضة.

– وتستند إلى جدار الكنيسة وتمر هي أمامك. تلتصق بالجدار وهي لا تراك وكأنك غير موجود. إنك بداخلها. لا تحاول أن تصدق أن لديك جسماً.

بدأت الشمس تغرب، وبعد ساعة هرب الفريق.

ظلت "جولييت" جالسة على الأحجار الخشنة. كانت نهاية فترة ما بعد الظهر لطيفة. جالت بعينيها على القواعد الرخامية المنزوعة عن تماثيلها. حاولت "جولييت" أن تتخيل الدير كما كان عليه قبل عدة عصور مع حدائقه المعتنى بها وأروقته المنتظمة. ما إن لمحت كهفًا في وسط بيت العماد حتى نهضت واقتربت منه. هناك عدة درجات نازلة. ربما يكون القبو. لم تسع إلى دخوله ولكنها منت نفسها بالعودة مع مصباح جيب صغير.

– ماذا تفعلين هنا؟

استدارت "جولييت". نظر "بيير بونفيل" إليها وقسمات وجهه متوترة. أشارت إلى المدخل وقالت:

– أعتقد أنه قبو. سأذهب لزيارته.

– من الأحسن ألا تذهبي. لا أثق بهذه الأحجار القديمة. عديني بألا تنزلي إلى هناك. عديني بذلك.

أمام إصراره لم تستطع "جولييت" سوى أن تذعن لرأيه.

نظر "بيير بونفيل" من حوله وهمس فجأة:

– أكره هذا المكان.

ألقت "جولييت" عليه نظرة دهشة.

– ومع ذلك عدت إليه.

أجابها بعد فترة صمت طويلة:

– نعم. ومع ذلك، إنه مكان مزعج مثل الفكرة التي لا يمكنني التملص منها. فكرة محددة إلى حد ما. هل لديك أنت أيضًا أفكار ثابتة؟

رفعت "جولييت" حاجبيها وتكشيرة خفيفة على شفتيها.

– فكرة واحدة على الأقل: المسرح. الاشتغال بالمسرح.. إنني محظوظة جداً.

– وموهوبة أيضًا.

– موهوبة؟

فكرت عدة لحظات واستطردت:

– لا أعلم. هذا جزء من حياتي. ينتابني إحساس بأنني أمتلك هذين الشيئين اللذين تحدث عنهما "تشيكوف". إنه يقول: "وراء الممثل لابد أن يوجد نوع من الحضور غير العادي. الممثل يجب أن يترك هذا الثنائي

– هذا النوع من الخيال والشبح– ويتصرف بدلاً من الشخصية التي يعيشها. أخيرًا، إنها لعبة سواء كنت غلامًا أو ملاحًا أو مستكشفًا".

– أنا كنت أريد أن أكون بهلوانًا.

ابتسمت "جولييت" أمام هذا التصريح غير المتوقع.

– يقال إن ردود أفعال البهلوان غير متوقعة دائمًا، وإنه يبكي في اللحظة التي يجب أن يضحك فيها، وإنه غير مبال أمام أسوأ المخاطر، وإنه يخشى الأشياء البريئة جدًا وليس لديه أي منطق، وإنه يصدق أي موقف مثل الطفل.

– ولهذا لم أنجح. أنا واقعي جدًا.

لما نظر إليها بإصرار مفاجئ تركت "جولييت" نفسها تحت تأثير نظراته. كان ينظر إليها بشدة حتى إنها تساءلت عما إذا كان يراها: كان يبدو بعيدًا بمئات الأميال عن هنا. رفع يده ببطء نحوها ورسم على خدها. أحست "جولييت" بإحساس غريب. أنزل "بيير بونفيل" يده دون أن يتركها بعينيه. ظلت "جولييت" صامتة وتلاحظه بعين ثاقبة. كان يبدو غائبًا من جديد وقال بنبرة تكاد تكون مسموعة:

– عفوًا.

استدار الرجل فجأة. ألقت "جولييت" نظرة خاطفة على هذا الذي ابتعد، ثم عادت إلى القصر.

دفعت باب المطبخ حيث تتعالى الصرخات والضحكات: "بول" و"جان دينيس" يتبارزان بالشوكة وتركتهما "جولييت" للعبتهما واجتازت الغرفة ودخلت الصالة الكبيرة.

كانت "الين" و"جوليان روبرت" جالسين أمام المدفأة يتحاوران بالقرب من آلات التصوير. كان الضيق يبدو على "باتريك" و"فرانسوا".

– هل أنت متأكد من أنك جلبت اثنتي عشرة علبة أفلام؟

أجاب "فرانسوا":

– بالتأكيد. لدي الفاتورة في جيبي.

اقتربت "جولييت" منهما. واستدار "باتريك" نحوها.

– ست علب منها غير موجودة.

قال "فرانسوا":

– قد تكون سُرقت! سأذهب للتحقق من أنها غير موجودة في الشاحنة.

عاد بعد عدة لحظات والاضطراب واضح عليه.

– من الواضح أن هناك شيئًا غير مفهوم.

قالت "جولييت" مقترحة:

– ربما تكون تمثيلية كوميدية من "جان دينيس".

– هذا يتطلب منه جهدًا كبيرًا. ثم إنها كانت موجودة في ساعة الغداء. ثم إنني أخذت منها واحدة لإعادة شحن الكاميرا.

سألت "جولييت":

– ألا يوجد منها ما يكفي التصوير؟

– بلى ولكن في حالة حدوث مشكلة فإنها قد تعوقنا. نحن سنقيم هنا لمدة أسبوع ولا يمكن الذهاب إلى "باريس" ثم العودة.

قال "باتريك":

– لابد أنك أخطأت في حساباتك. لا أرى تفسيرًا آخر.

هز "فرانسوا" رأسه وبدا عليه عدم الاقتناع.

– لقد وضعها صاحب المحل في الشاحنة مباشرة ولم أتحقق منها. كنت أركن السيارة صفًا ثانيًا. دفعت الفاتورة وأتيت إلى هنا فورًا. لابد

أنه أخطأ.

قالت "الين":

– وربما كان زائر هذه الليلة هو الذي سرقها.

سأل "جان دينيس" وهو يدخل الصالة:

– من الذي سرق؟ وما الذي سرقه؟

رد عليه "فرانسوا":

– فقدنا نصف علب الأقلام.

– آه! آه! لم يخرج أحد! يجب حل هذا اللغز!

تنهد "باتريك" تنهيدة ضيق:

– قم بحله بمفردك، لقد أتعبتني!

قال "جان دينيس":

– حسنًا، بما أنك تتكلم بهذا الشكل فإنني سأذهب لصنع الفطائر.

توارى وهو يمشي على أطراف قدميه وذراعاه أعلى رأسه– منتمتمًا بأغنية أوبرالية– لكن تقليده لم يجعل أحدًا يبتسم. جلست "جولييت" المفكرة بالقرب من موقد المدفأة ومستمعة بأذن شاردة إلى حوار "الين" و"جوليان" وهي متشغلة بموقف "بيير بونفيل" ومنزعجة من الانفعال الذي أحست به قبل عدة لحظات. ظلت تتأمل النار لفترة طويلة، ثم لاحظت أن "الين" و"جوليان" لم يعودا إلى جوارها. كان "بيير بونفيل" واقفًا في مكانهما وعيناه مصوبتان على الحطب الأحمر.

لاحظته "جولييت" خلسة: إن وجهه كان رصينًا. أدار رأسه في اتجاهها وفوجئ بنظراتها.

قال كما لو كان حوارهما لم ينقطع:

– إنني عجوز على أن أكون بهلوانًا.

لم تجد "جولييت" أي شيء ترد به. أحست فجأة بأنها تعيش موقفًا غير واع، وأحست حينذاك برغبة مفاجئة. أرادت أن يتوقف الزمن وأن تبقى الأمور هكذا، أن يكون قريبًا منها وهي قريبة منه. ضمت ركبتيها بين ذراعيها ووضعت عليهما رأسها وأغمضت عينيها لتحتفظ بهذا المشهد. هذه اللحظة الهادئة جدًا كانت قصيرة جدًا.

وصل "جان دينيس" و"بيريكل" بصخب كما هي العادة، ويحملان أطباقًا تمتلئ بالفطائر. انضم "باتريك" و"فرانسوا" إليهما. تعجب "جان دينيس":

– عجبًا، أين ذهب "جوليان" و"الين"؟

قال "فرانسوا":

– لقد رأيتهما يصعدان إلى الطابق الأول.

قال "جان دينيس" بنبرة مليئة بسوء التفاهم:

– الاثنان؟

سأل "فرانسوا" بسخرية:

– لماذا يزعجك هذا؟

– لا يزعجني. على أية حال لست محظوظًا مع النساء.

قال "بيريكل":

– ربما يمثلان جزءًا من اللعب.

بدا "جان دينيس" حالمًا بشكل مفاجئ.

– يمكن تسمية هذا بذاك. غريب حقًا أمر العلاقة بين الرجل والمرأة، إنهما لا يحبان بعضهما أبدًا. هذا لا يتوافق زمنيًا أبدًا.

نظرت "جولييت" إليه وهي دهشة من النبرة المقززة التي استخدمها. قالت في قرارة نفسها: "ها هو آخر يخفي مهارته". لا يجب أن تتجاوز

بعيداً لكي تلمح الحزن الذي تخفيه لامبالاته .

تلاقت نظراتهما . كان "جان دينيس" مقطبًا . قال لها وهو يأخذها كشاهد :

– ألا تجدين أنني و"ألين" خُلقنا لنتفاهم؟

أجابته "جولييت" وهي تبتسم :

– بصراحة لا، لا أعتقد .

تأملها عدة لحظات ثم انفجر في الضحك .

– كنت أعلم هذا . كنت أحتاج فقط لرأي موضوعي .

قال "بيريكل" :

– بخصوص الموضوعية . .

أسكته بحركة من يده وسأل الفتاة بطريقة سمجة :

– "جولييت مايانس" هل هو اسمك الحقيقي أم أنه اسم الشهرة؟

– "مايانس" هو لقب أمي . في أسرتها توجد تقاليد، وهي ألا تتزوج النساء أبدًا الرجال الذين يعيشون معهن ويعطين ألقابهن إلى أطفالهن . منذ أربعة أجيال لم يكن هناك سوى الفتيات، وكان ذلك – حينذاك – هو الوسيلة الوحيدة للاحتفاظ باللقب . والدي يُدعى "مونتيل" .

قال "باتريك" :

– عجبًا، لم أعلم هذا . لكن هذا الاسم كان يخبرني بشيء ما غامض .

انتقلت "جولييت" من مكانها وتلاقت نظراتها مع نظرات "بيير بونفيل" التي أصبحت باردة فجأة . توقفت عندها وهي تتساءل عما يمكن أن يسبب هذا التحول الفظ . نهض وترك الغرفة دون أن ينطق بكلمة .

سأل "جان دينيس" بدهشة :

– ماذا حدث له؟

قال "باتريك" :

– لا أعلم .

قال "فرانسوا" ملاحظًا :

– لقد تغير منذ أربعة أعوام . أتذكر عندما كنا نصور فيلم الفتاة الغائبة؟ كان متفائلاً للغاية .

– كان عاشقًا للغاية . إن موت "جوديث" قلب حياته .

خفضت "جولييت" رأسها وهي تفكر :

– ماذا كانت تعمل؟

– كانت تصور كتبًا للأطفال .

تخيلتها "جولييت" امرأة رقيقة جدًا .

كانت عيناها زرقاوين مثل عينيك .

نظرت "جولييت" نحو "باتريك" وتنهدت . ربما كانت هي من تتسبب في اضطراب "بيير بونفيل" وإصابته بالحيرة . ومع ذلك وجدت "جولييت" صعوبة في تصديق هذا التفسير . العالم مليء بالنساء ذوات العيون الزرقاء .

وجدت نفسها بمفردها في الصالة . لقد صعد الآخرون لينامو . استمعت إلى خطواتهم التي تدوي في الطابق الأول ثم غاصت الغرفة في صمت مطبق . ظلت "جولييت" تتأمل نار المدفأة التي تخمد .

انفتح باب الدخول . أغلقه "بيير بونفيل" وراءه وألقى نظرة على "جولييت" وعبر الصالة بخطى واسعة وصعد السلالم . تحيرت "جولييت" ولم تعد لديها القدرة على التفكير ثم صعدت بدورها إلى

الطابق العلوي.

مشت إلى الغرفة الرئيسية وتأهبت لإدارة مقبض الباب عندما سمعت كلمات مخنوقة. عادت بسرعة. في هذه الليلة لن تشعر "الين" بالخوف.

بمجرد أن تمددت على السرير أغمضت عينيها. النوم يتوانى في المجيء. لكنه أحاطها رويداً رويداً ومعه أتى النسيان وتلاشت صورة "بيير بونفيل" ومداعبته على خدها.

الفصل الرابع

في الليل أيقظتها ضجة مكتومة وصامتة. استمعت بعناية وحاولت أن تحدد مكان صدورها. اعتدلت على مرفقيها: إنها آتية من الدير.

دون أن تضيء النور تقدمت نحو إحدى النوافذ. كان القمر فضياً ويملأ السماء، ويغمر الغابة بضوء شاحب، ويجعل خيال الأشجار واضحًا. لم تر شيئًا وكانت ستعاود النوم عندما لمحت خيالاً متحركًا يرتسم على جدران الكنيسة. إنه "مارتان". أدار رأسه باتجاه القصر. تراجعت "جولييت" بشكل غريزي. عندما نظرت من جديد كان قد اختفى. تساءلت عما يمكن أن يفعله هناك في منتصف الليل. بعد كل هذا كان من الغريب ألا يكون هذا مدهشًا، وعاودت النوم.

استيقظت على ضوء الصباح المشمس. فردت نفسها وتثاءبت وقررت أن تأخذ دشًا. الحجرة ليس بها حمام. ارتدت "تي شيرت" ومرت إلى الرواق. خرج "باتريك" - الذي ارتدى ملابسه- من حجرته في هذه اللحظة.

سألته:

- أيوجد حمام؟

- نعم، الباب قبل الأخير إلى اليسار. ستجدين كل ما يلزمك.

توجهت "جولييت" إليه وأغلقت الباب وراءها وأصابتها الدهشة. لابد أن الحمام يرجع إلى بداية القرن: كان المغطس يرتكز على أقدام من البرنز. هناك تسريحة كبيرة من الخشب المنحوت موجودة في أحد الجوانب، وهناك مربعات من الخزف الملون تغطي سطح الأرض والجدران، وهناك أيضًا نافذتان تطلان على الخشب المحيط.

فكرت "جولييت" في حمامها الخاص والصغير أيضًا حيث يمكنها بالكاد أن تتحرك فيه، كما فكرت في "سيمون بورجوا" الذي يجب أن تعطيه في أقل من يومين ردًّا نهائيًا. أدارت الصنبور ونظرت إلى الماء وهو يتفجر من الفم المستدير للأسد. كانت "باريس" تبدو لها بعيدة تمامًا وكأنها تتواجد على بعد آلاف الكيلو مترات من هناك.

انتظرت أن يمتلئ المغطس ونظرت إلى الزجاجات الموضوعة على التسريحة. هناك العشرات منها. خلعت السدادة عن بعضها بالمصادفة. كانت العطور جميعها لديها رائحة لطيفة.

فكرت "جولييت" في أنها تخص - بالتأكيد- زوجة "بيير بونفيل".

كانت القوارير الكريستالية تلمع في أشعة الشمس. تساءلت عن السبب الذي يجعل "مارتان" يقوم بهذا الترتيب الدقيق. وتذكرت حينذاك أنها رأته في الليل.

كانت مستغرقة في أفكارها ونسيت المغطس الذي امتلأ، ومحته قبل أن يوشك الماء أن يفيض عنه. أفرغت منه جزءًا ونزلت إلى المغطس، وشعرت بالإحباط لأن المياه كانت ساخنة. خرجت منه بعد لحظات وعادت إلى غرفتها حيث ارتدت فستانًا من الصوف الناعم وحذاءً ثم

نزلت السلالم بسرعة.

كان الطاقم بأكمله يتناول فطوره في المطبخ. كان دخولها مصحوبًا بصرخة. أسرع "جان دينيس" ليقدم لها كرسيًا. ألقت نظرة باتجاه "بيير بونفيل". كان يشرب قهوته بشكل شارد أيضًا ولم يعرها أي اهتمام.

قالت بصوت مرح وهي عازمة على ألا تتأثر بموقفه:

- صباح الخير يا أستاذ.

أدار رأسه نحوها وأجاب باقتضاب:

- صباح الخير.

قال "باتريك":

- تنادين "بيير" بالأستاذ؟

لاحقته "جولييت":

- لماذا لا يكون أستاذًا؟

نظر "بيير بونفيل" إليها وقال:

- يجب إذن أن أناديك بـ"بيير".

تدخل "بيريكل":

- يمكنك مناداته بـ"حجر". "بيير" و"حجر" ليس بينهما اختلاف كبير.

ظهرت ابتسامة على وجه "بيير بونفيل" لكنها كانت مختصرة وتكدرت قسماته من جديد.

قررت "جولييت" ألا تطرح عليه أسئلة لأنها لا تجد إجابة. إنه ليس من نوعية الرجال الذين يعترفون بما يؤلمهم. لكن هناك شيئًا يحيرها: هذه النظرة التي وجهها إليها بدون أي رقة في ليلة البارحة. هل ضايقته بالحكاية الخاصة بعائلته؟

شربت قهوتها واتخذت قرارًا بأن تكون أقل انتباهًا إلى سلوك المخرج.

لماذا أصبح هذا الرجل - الذي تعرفه بالكاد- محط اهتماماتها فجأة؟

كان الجميع من حولها يشتغل: كانت "الين" تضع الرتوش الأخيرة لماكياج "جوليان" بعناية شديدة، لم يفترقا قط بعيونهما، و"جان دينيس" ينظف بعناية أشياء "النيكون" الخاص به، و"بول" يقوم بمحاولات ضبط الصوت. ركز "فرانسوا" و"باتريك" و"بيير بونفيل" على خطة العمل. اقترح "باتريك" مواصلة العمل بالخارج وخرجوا ليتحققوا من الضوء.

أخذت "جولييت" الفستان الذي كانت ترتديه ليلة البارحة. وقالت:

- لا تنظروا، إنني أغير ملابسي.

سأل "جان دينيس":

- وماذا سيحدث إذا نظرنا؟

أجابه "بيريكل":

- ستتحول إلى صخرة.

- ما كان ينبغي لك أن تقول لي ذلك.

هزت "جولييت" رأسها. من الواضح أنهما لا يفوتان لبعضهما. لقد انتهت "الين" مع "جوليان" وحلت "جولييت" مكانه وتركت نفسها بين يدي الفتاة التي وضعت لها الماكياج. ألقت الفتاة نظرة على مساعدة المخرج.

- سأقوم بعمل دائرة خفيفة تحت عينيك.. ستصور المرحلة الجديدة التي ستتضلين فيها بالغابة.

سألتها "جولييت":

- عمومًا، هل أنت مساعدة مخرج أم ماكيير؟

www.rewity.com

– مساعدة مخرج. لكن بالنسبة إلى هذه النوعية من الأفلام يمكنني بسهولة التوفيق بين الاثنين.

– هل عملت قبل ذلك مع "بيير بونفيل"؟

– نعم. لقد تقابلنا جميعًا في أعماله.

– هل تعرفين زوجته؟

– لا. لم تأت إلى التصوير قط، لكنني رأيتها مرة واحدة.

صمتت ثم استطردت:

– "مارتان" الرجل العجوز الطيب لم يكن مجنونًا هكذا. صحيح، إنك تشبهينها ولديك قوامها. إنها أيضًا كانت طويلة ورقيقة مثلك وشعرها كان طويلاً.

قطبت "جولييت" حاجبيها. لقد غاص بها كلام "ألين" في ضيق شديد.

قالت "ألين":

– ها قد انتهى الأمر.

نهضت "جولييت" وخرجت وهي تحاول فهم سبب هذا الإحساس المتعب. قال "باتريك":

– لا تبدين على مايرام. أهناك ما يسوءك؟

نفت "جولييت" بإشارة من رأسها. استدار "بيير بونفيل" – الذي كانت عينه ملتصقة بالكاميرا– نحوها ومشت "جولييت" عدة خطوات لتخفي اضطرابها.

أعطى "بيير بونفيل" عدة تعليمات وبدأ التصوير. لابد أن تسبق "جولييت" إلى الغابة وتمشي وكأنها في حلم. حاولت أن تركز وأن تكون خطواتها ثقيلة وبطيئة ويعوقها الضباب الحاجب للرؤية مثلما

حدث في هذا الحلم الذي رأته ذات يوم حيث هربت في مشهد من الثلج، لكن مسيرتها توقفت بسبب ضبابة معتمة حاولت أن تبتعد عنها. لكن سمك هذه الضبابة يوازن كثافة القطن المندوف وقد أطبقت عليها وخنقتها..

– لا يمكن هذا. مطلقًا.

توقفت "جولييت" وأدارت رأسها نحو "بيير بونفيل" الذي قال:

– سنستأنف مرة أخرى.

– محرك!

– صور!

مشت "جولييت" بخطى مزعزعة وابعدت الأغصان من أمامها. لم تر جذرًا يخرج من الأرض وتعثرت.

صاح بها "فرانسوا":

– يجب أن تعودي إلى نقطة انطلاقك. إن نبات "المَنْسِغَة" كثيف هنا. لا يمكنني متابعتك.

أذعنت "جولييت" وتقهقرت. تقدمت مرة أخرى إلى الغابة وقد تألمت ركبتاها من السقوط.

كان المشهد الثالث هو الأفضل. عادت "جولييت" نحو المجموعة وهي تعرج وكانت هناك كدمة كبيرة.

قالت "ألين":

– انتظري. سنتدبر أمر هذه الكدمة.

غابت لحظات ثم عادت بحقيبة الإسعافات الأولية.

– قليل من الكحول الممزوج بالكافور ولن يظهر أي شيء.

أطلق "جان دينيس" صفير إعجاب وقال بدهشة يُقلد "ميشيل

سيمون" :

– ليس سيئًا طائر "أبو مغازل" هذا!

ابتسمت "جولييت" له ابتسامة عريضة.

– وكيف حال طائرك أنت؟

قال وهو يشمّر بنطلونه:

– ليس سيئًا أيضًا.

صاحت "ألين" :

– أوه!

نظر "جان دينيس" إليها نظرة استياء مصطنعة:

– وكيف تريدينه أن يكون؟ بلا ريش وناعم مثل التمثال الرخامي؟

قال "بيريكل" :

– توقف عن أن تجعله يمشي!

قال "بيير بونفيل" :

– سنصور المشهد الخامس. مازال أمامنا الوقت.

قال "فرانسوا" :

– لنسرع معًا. بدأ الجو يصاحبه سحب. أخشى أن تكون هناك مشاكل في التوافق مع الضوء.

صوروا المشهد التالي ثم اختفت الشمس تمامًا وعادوا إلى القصر.

قال "فرانسوا" :

– يلزمنا أيضًا يوم جميل.

سأل "بيير بونفيل" :

– هل لاتزال هناك مشاهد خارجية؟

أجاب "باتريك" :

– هناك المشهد الذي يسير فيه "جوليان" بالقرب من المستنقع.

قال "بيير بونفيل" الذي فهم بشكل خاطئ:

– مشهد "جولييت" ... ماذا؟

– أتحدث عن "جوليان" وليس "جولييت".

استدارت "جولييت" التي كانت تمشي أمامهم وارتأت أنه لايزال حالمًا؟

بدأ المطر يسقط وأسرعوا الخطى. بمجرد أن أصبحوا بمنأى صعدت "جولييت" لتغير ملابسها. عندما فتحت باب حجرتها وجدت نفسها أمام "مارتان". كتمت صرخة الدهشة وظلت ساكنة على عتبة الغرفة ويمنعها من دخولها وجود العملاق.

قال بصوت خافت:

– لا أبغي إخافتك. لا أؤذي أحدًا..

توارى في الحال. رأت "جولييت" أنه رتب السرير، وتأكدت أن ملابسها – التي تركتها متناثرة هنا وهناك– موضوعة بعناية على كرسي. قالت في نفسها: "غريب حقًّا وسواس الترتيب هذا".

تأهبت للنزول مرة أخرى عندما لمحت بطاقتها الشخصية بالقرب من الباب. التقطتها وهي متحيرة لوجودها في هذا المكان. فتحتها بشكل آلي وظلت مندهشة عدة ثوان: الصورة غير موجودة! نظرت من حولها ثم أخذت حقيبتها وفتشتها بلا جدوى. فكرت فجأة في "مارتان" ثم طردت هذه الفكرة: "إنه غريب حقًّا، لا أدري لماذا أخذ هذه الصورة!"

فحصت من جديد بطاقتها الشخصية، لقد نزع الختم بعناية. اقتنعت "جولييت" بأنها لابد وأن تكون مسرحية هزلية حدثت منذ عدة أشهر.

اقتربت من النافذة التي يرتطم بها المطر. إن حطام الدير يبدو أكثر

شقاء في هذا الوسط المكفهر الذي تهطل فيه الأمطار.

أحست "جولييت" الإحساس الغريب نفسه الذي أحسته في صباح اليوم: هناك شيء مرضي في هذا القصر. إن روح الدعابة التي تخيم على الفريق لم تغير شيئًا. هل هذا راجع إلى تشابهها الغريب مع زوجة "بيير بونفيل"؟ هل كان هذا سلوكه معها أم أنه وجود "مارتان"؟ تنهدت "جولييت". إنها لن تترك نفسها - مع ذلك- إلى حدسها!

- "جولييت"!

أخرجها صوت "باتريك" من حلمها.

- هل ستاتين للغداء؟

- إنني قادمة!

ارتدت فستانها الصوف وفتحت الباب. نظر إليها "باتريك" مقطبًا حاجبيه:

- ألم تزيلي ماكياجك؟

قالت وهي تمرر يدها على وجهها:

- نعم. لم أزله.. هذا صحيح!

- ليست نوعية الماكياج التي تعطي الهيئة الطيبة!

رفعت "جولييت" كتفيها وهي تلقي نظرة على المرآة المعلقة في الرواق. توقفت أمامها لحظة. كان الماكياج غير متناسق مع ملابسها ويجعلها مثل التي خرجت لتوها من قبو.

- لدي رأس يشبه الشبح.

نظر في المرآة.

- طالما تعكس صورتك فليس هناك داع لان تحزني! الأشباح الحقيقية لا ترى بعضها!

قالت "جولييت" وهي تمسكه من ذراعه:

- هيا بنا. سازيل ماكياجي بالأسفل.

جرى تناول الوجبة في جو مبهج. بدا أن "بيير بونفيل" يبذل مجهودًا ليساهم في الحوار. لاحظته "جولييت" من وقت لآخر. كان يبدو شاردًا أكثر من ذي قبل. حاول أن يبتسم للمزاح المتناثر من حوله ولكن نظراته كانت تكذب ابتسامته.. كان يبدو أنه في مكان آخر.

أدركت "جولييت" فجأة أنها غير موجودة مثله تقريبًا. لقد كانت منشغلة تمامًا بهذا الرجل.

- ماذا تريد أن تفعل؟

ألقت "جولييت" على "جان دينيس" نظرة استفهام.

- بالملعقة.

خفضت عينيها على يديه ثم اضطربت فجأة وأسقطت الملعقة الفضية التي اتخذت شكلاً منحنيًا غير طبيعي.

قال "جان دينيس" مازحًا وهو يرفع الملعقة:

- الآنسة تتلف أدوات المائدة! انظروا إلى ما تفعله!

انتزعتها "جولييت" منه بحركة مفاجئة ووضعتها على المائدة. ساد الصمت التام. خفضت "جولييت" رأسها نحو طبقها. لماذا تصرفت بعصبية هكذا؟

قال "جان دينيس":

- كل هذا لكي تثبتي لنا أن النساء قويات!

لاحقته "ألين":

- لا داعي لإثبات هذا.

تلاشى الاضطراب العام الذي ساد عدة ثوان. تبادلت "جولييت"

www.rewity.com

و"جان دينيس" إشارات الغمز، وأدركت أن "بيير بونفيل" يلاحظها بدوره. أدار هذا الأخير عينيه.

نظم كل واحد منهم - فيما بعد - ما سيفعله في فترة ما بعد الظهيرة. دلف "بيير بونفيل" إلى حجرته، وفعلت "آلين" و"جوليان" الشيء نفسه. أما الآخرون فقد اشتركوا في لعب الشطرنج.

أخذت "جولييت" واقيَ المطر وخرجت. مشت نحو الجناح الأيمن للقصر، وتحصنت بالبرج الذي رأته لدى وصولها. هذا الجزء لم يُجدد منذ فترة طويلة ولكن البرج الرئيسي كان بحالة جيدة وكأنه ملتصق بالأرض بواسطة النباتات التي تجتاحه. دفعت باباً صغيراً منخوراً كان وراء سلم حجري لولبي، تقدمت نحوه بحرص ثم استدارت. ذهبت أولاً إلى المطبخ وأخذت منه شمعة وعلبة ثقاب وعادت نحو البرج. صعدت السلم درجة درجة وتأكدت من قوتها في كل مرة. وجدت نفسها في حجرة سقفها مفتوح. وهناك يوجد الجناح الآخر للقصر. كانت الغابة تنفرد في كل جزء مثل البحر. نظرت بعيداً ولم تر أي مسكن. كانت ستنزل عندما وقع بصرها على صندوق محاط بحديد صدئ. رفعت الغطاء وأشعلت الشمعة. أخرجت من الصندوق ملابس داخلية حريمي وفساتين رطبة وعفنة ولوحة مرسومة. قربت الشمعة.. إنها لوحة لامرأة. تفحصتها قليلاً بعناية. بدأ قلبها ينبض بقوة: إنها زوجة "بيير بونفيل". كانت عيناها زرقاوين مثل عينيها لكنهما يبدوان كبيرتين في وجه نحيف حيث ينفتح الفم على ابتسامة وديعة جداً. اختفت كتفاها تحت كتلة من الشعر الداكن. كان لديها شيء ما طفولي، ربما تكون هذه البراءة في عينيها. وضعت "جولييت" اللوحة. إنها لا تشبه هذه المرأة. دون أن تعرف السبب شعرت بالهدوء، لهذا

أغلقت الصندوق ونزلت وهي تتساءل عن سبب وجود الصندوق في هذا المكان.

حينما دفعت الباب وراءها لمحت خيال "بيير بونفيل" الذي يحيط نفسه بمشمع المطر الذي رفع ياقته. لما رآها اقترب منها وقال:

- ماذا تفعلين هنا؟

كان صوته يبدو غريباً.

- ألم تستعدي بعد للصعود إلى البرج؟

امتنعت "جولييت" عن الرد أيضاً.

- أخبرتك قبل ذلك أن هذا الحطام خطير ولا داعيَ للمجازفة بالدخول إليه. أتسعين إلى المضايقات حقاً؟

استمرت في النظر إليه دون أن تنطق بكلمة.

- هل فقدت لسانك؟

- لماذا؟ هل تحدثني؟ لأنه لو كنت تحدثني فافعل هذا بنبرة أخرى!

تبادلا النظرات عدة لحظات.

- منعتك من التجول في الحطام، هذا كل ما في الأمر.

رفعت "جولييت" كتفيها. بمجرد أن استدارت نصف لفة أمسك معصمها ثم تركه برقة دون أن يبعد عينيه عنها. كاد أن يقول شيئاً ولكن لم يخرج أي صوت من بين شفتيه، ولكن "جولييت" أحست بشفتيه تغطيان شفتيها غير ماليتين بالمطر الذي ينهمر، ثم ابتعدا عن بعضهما.

قالت "جولييت" كما لو كانت لم تلاحظ ذلك من قبل:

- إنها تمطر.

لم يجبها، ودس يديه في جيبيه وسارا في صمت جنباً إلى جنب نحو

القصر. بمجرد أن صارا أمام الباب الذي هم بفتحه أوقف حركته ورحل تحت المطر. نظرت إليه "جولييت" وهو يبتعد ثم دخلت ودلفت إلى المطبخ.

الفصل الخامس

أمام الحوض كان "مارتان" يغسل الصحون. لدى دخول المرأة أدار رأسه.

عبرت "جولييت" الغرفة وعلقت معطفها الواقي على الشماعة، وما إن توجهت نحو الصالة الكبيرة حتى فوجئت بنظرات الرجل العجوز، وتوقفت حيث بدا متشككًا.

– هل كنت تتجولين تحت المطر؟

قالت "جولييت" لنفسها: "من الواضح أنه يجب عمل حساب لجميع الناس هنا".

وأكمل العجوز حديثه:

– لا يجب الذهاب إلى الحطام.

هو أيضًا يقول هذا! آملت ألا يوجد عليها أي أثر محتمل يدله على الزيارة التي قامت بها لتوها. بالنسبة إلى "مارتان" فإن الحطام مقدس وخشيت من ردود أفعاله إذا علم أنها تجاوزت حدودها.

أجابته أخيرًا:

– أعلم هذا.

لكنه لم يكن مهتمًا بها واستمر في عمله. لاحظته "جولييت" برهة ثم غادرت المطبخ.

كان "باتريك" و"فرانسوا" جالسين بالقرب من المدفأة يواصلان مباراة

الشطرنج بينهما. تأملت مكان قطع الشطرنج عدة ثوان ثم صعدت إلى حجرتها.

أحست فجأة بأنها منهكة ومتحيرة. فتشت في حقيبتها وأخرجت منها كتابًا لـ"شكسبير" قرأته بشرود.

توقفت عيناها على جملة: "لم يعد أمامي أي طريق أراه. لا أحتاج إلى العينين. لقد سقطتُ وأحسست بالتيه عندما امتلكتهما.."

أغلقت الكتاب وأسندت جبهتها إلى الزجاج. الجملة التي قرأتها مأخوذة من مسرحية "الملك لير". لماذا ترددت في إعطاء رد إيجابي لـ"سيمون بورجوا"؟ إنها الفرصة المثالية لأن يعرفها المجتمع الباريسي. ولكن ما يخيفها هو: هل ستقدر على مواجهة الجمهور؟

حل الليل. ظلت ساكنة في الظلام تستمع إلى صوت المطر على زجاج النافذة وهي تقرأ فقرات كاملة من النص. كل هذا عظيم من أجل ألا يوجد في أفكارها أي مكان لـ"بيير بونفيل". عن أي شيء توشك أن تدافع عن نفسها؟

"أرسلوا فيلقًا من الجنود.. لنبحث عنه في هذا الريف الكبير المغطى بالسنابل ولنحمله تحت نظري.. لنفكر في الحكمة الإنسانية لكي نعيد إليه العقل الذي حرم منه، وأن من يمنحه بعض المساعدة يأخذ كل ما امتلكه.."

تنهدت "جولييت" وعبرت الغرفة ونزلت ثم سألت "باتريك" الذي كان يلعب الشطرنج:

– هل يوجد تليفون هنا؟

قال وهو ينقل قطعة الجندي:

– يوجد جهاز في حجرة "بيير".

– أتعتقد أنه يمكنني عمل مكالمة ؟

– بالتأكيد.

صعدت ودفعت باب حجرة "بيير بونفيل". أخذت تتحسس زر النور. بمجرد أن أضيئت الغرفة، نظرت من حولها وتوجهت نحو الجهاز الموضوع على المكتب، وكونت الرقم. رن الجرس عدة مرات ثم رفع شخص ما على الجهة الأخرى.

– مساء الخير، المتحدثة "جولييت مايانس". هل أنت على ما يرام؟ إني أتصل بك لأخبرك أنني موافقة. سأكون في "باريس" في خلال عدة أيام. هل يمكننا تحديد موعد؟

كان صوت "سيمون بورجوا" متحمسًا. ألقت "جولييت" نظرة من حولها وهي تستمع إلى محدثها. لم تتميز الحجرة عن غيرها. هناك فقط سرير كبير وبعض الصور على الجدران. كان هناك مكان فاتح جذب انتباهها. لقد انتزعت لوحة. فكرت على الفور في اللوحة التي كانت موجودة بأعلى البرج وهزت رأسها. قالت في قرارة نفسها: "لابد أن ذهنه معقد حتى ينزع اللوحة ويضعها في هذا الصندوق".

عندما وضعت السماعة أدركت أنها لم تسمع كلمة واحدة مما قاله لها "سيمون بورجوا". إنها لم تعرف لا زمان ولا مكان مقابلتهما. أطفأت النور وخرجت من الحجرة وعادت إلى الطابق الأرضي.

وجدت "بيير بونفيل" جالسًا أمام لعبة الشطرنج ويلاعب "فرانسوا". رفع رأسه وألقى عليها نظرة سريعة. مرت "جولييت" على المطبخ حيث وجدت الآخرين يجهزون للعشاء وهم غير مبالين وساخرون.

– ما رأيكم في الأوملیت؟

– آه، إنه ثقيل خصوصًا إذا وضعنا القواقع معه، وكم هذا كريه!

جلست "جولييت" ومرفقاها على المائدة وذقنها بين يديها.

– أيمكنني مساعدتكم في عمل أي شيء؟

قال "جان دينيس":

– لا، الأوملیت تخصصي.

قال "بيريكل" وهو يقطع أوراق السلطة:

– إنه يخشى أن تخطفي كسرة الخبز من فمه.

هز "باتريك" رأسه وقال:

– هل يحدث أن تتكلم مثل جميع الناس؟

– بالتأكيد، إلا إذا تحدثنا كشخص.

استطرد "بيريكل":

– وعندما يكون المرء شخصًا لا يتكلم.

قال "باتريك":

– الفيلم القادم سنصوره مع "بُكم"!

سأل "جان دينيس":

– ماذا قال؟

قال "بيريكل" موجهًا حديثه إلى "باتريك":

– أرأيت؟ إنه أصم أيضًا.

قالت "جولييت" بدهشة:

– "الين" و"جوليان" ليسا هنا؟

تعجب "جان دينيس":

– لتسكتوا هذه الفتاة! ليتنا لا نتطرق في هذا المكان إلى موضوع غير مُباح!

قال "بيريكل" له:

www.rewity.com

– غيرتك ستضيعك.

– لقد ضيعتني قبل ذلك للأسف. علاوة على أنني لم أعلم أين أنا ولا من أنا أو إلى أين أذهب.

اقترح "باتريك":

– يمكنك الذهاب إلى الموقد. ستأخذ ساعات في تسوية بيضك هذا!

لحق "بيير بونفيل" و"فرانسوا" بهم وجلسا إلى المائدة.

مرت الأمسية في جو منتعش. بدا "بيير بونفيل" أكثر ارتياحًا على غير العادة، ولكن "جولييت" أحست أنه يتجنب النظر إليها. لقد تصرفت وكأن شيئًا لم يحدث. لم يكف المطر في الخارج عن هطوله.

قال "باتريك":

– في صباح الغد سنصور مشهد الردهة. إنه مشهد صغير جدًا.

– وسأصرخ: لا تنظر إليّ!

– نعم وهنا ندرك أنها تهذي تمامًا.

قال "بيير بونفيل":

– الخوف الذي يتصاعد بداخلها تدريجي. هذا الخوف يجب أن يكون مفزعًا. إنها صرخة تخرج من أعماق جسدها صرخة دفاع.

قال "جان دينيس":

– هذا الفيلم لن يضحك أحدًا.

قال "بيير بونفيل" وهو يبتسم:

– في المرة القادمة سنكتبه معًا.

لم تستطع "جولييت" أن تكتم تنهيدة قوية. لماذا يتصرف بهذه الطريقة الطبيعية جدًا مع الآخرين في حين يتصنع تجاهله إياها في كل مرة. نهضت حيث إن هذه النوعية من المواقف تغيظها. بعد أن ألقت

التحية عليهم انصرفت.

بمجرد أن أصبحت في غرفتها أمسكت كتابها وجلست على سريرها وحاولت أن تهدئ إحساس الغضب الذي يجتاحها. ماذا يخشى؟ هل يخشى أن تكون قد أخذت هذه القبلة مأخذ الجد؟ أو أن تطلب منه تصفية الحساب؟ إن موقفه متغير جدًا! طرق أحد على بابها.

– ادخل!

ودهشت لما رأت "بيير" يتقدم نحوها.

قالت بسرعة:

– إنك منافق!

– آه! نعم؟

– تمامًا. إنك مندفع وتضايقني. منذ قدومي إلى هنا وسلوكك يختلف دوامًا بين لحظة وأخرى و..

قاطعها فجأة وقال:

– أود أن أخبرك بأنني أدركت موقفي ولكنني لا أريد أن تحتقريني وخصوصًا بعد.. بعد ما حدث بالقرب من البرج. لقد تصرفت قليلاً باندفاع..

قالت بصوت ساخر قليلاً:

– وتندم على ذلك.

– تمامًا.

– ولكنني غير نادمة.. تصور كانت لدي الرغبة في ذلك!

تأملها بدهشة عدة ثوان من جراء هذه الصراحة.

قال وكأنه يحدث نفسه:

– صحيح.. إن جيلكم ليس لديه أي حس بالتقاليد!

WWW.REWITY.COM
مرمورية

صاحت "جولييت" بدهشة:

– يا للتقاليد!

– إنني كبير في السن كما أخبرتك من قبل.

– لنتوقف عند هذا الحد ولن أطالبك بأي إصلاح. لا توجد مغالاة في الرصانة!

بما أنه لم يجب نظر نحو الأرض ولاحظته "جولييت" في صمت. كان يرتدي – مثل اليوم الأول – سترة من القطيفة السمراء وحذاء برقبة من الجلد السميك. كان شعره هائشًا. كان ينفث دخان الغليون بشرود. كان به شيء حازم ونظرات رصينة أعطته مظهرًا صامتًا. ولكن هل هذا هو الشكل فقط؟

تركت عيناه الأرض وتركّزت على "جولييت" وتفحصتها بإصرار. ألقى نظرة على الغليون ثم ترك الغرفة دون أي كلمة وأغلق الباب وراءه.

هزت "جولييت" رأسها وهي متحيرة بين الضحك والغضب. الضحك لأنه على الرغم من هذه الصرامة التي أبداها فإنه بدا لها متأثرًا. والغضب.. والغضب، آه! لأنه لم يكن متوقعًا أن تقع "جولييت مايانس" في حب مُكدر للصفو.

حاولت أن تركز في قراءتها ولكن ذهنها كان يهيم في مكان آخر.

استمعت إلى المطر الذي سقط فجأة وارتطم بالبلاط. كان هذا الارتطام الخفيف المتكرر يشبه النداء اليائس.

نهضت "جولييت" وسارت خطوات في الغرفة. حينما مرت أمام النافذة أدارت رأسها وجذبها ضوء خفيف ينتقل بين حطام الدير.

توقفت والصقت أنفها بالزجاج وحاولت أن تميز ما يمكن أن يكون سبب هذه النقطة المضيئة التي تنتقل مثل النار الماجنة. وبعد عدة ثوان

كان الظلام دامسًا.

ابتعدت "جولييت" عن النافذة وهي متحيرة. هل هذا هو "مارتان" الذي ضل طريقه مرة أخرى ويقوم ببحث غامض؟ هزت رأسها وأعادت التفكير في الموقف الغريب لـ"مارتان"، وفي لوحة الصندوق، وفي هذا الحطام الذي لا يجب تخطيه، وفي هذا الفيلم الذي يدور في شكل ما من اللامبالاة، وفي "بيير بونفيل" ومواقفه الغامضة، وفي المزاح الدائم لـ"جان دينيس" و"بول" اللذين يتغامزان من خلال شفرة بينهما.. وفي هذا القصر الذي يشبه الحطام.

تزايد المطر، وعادت "جولييت" للنوم وتخيلت الضوء الغامض كشبح في القصر.

بعد عدة ساعات تقلبت في نومها ودفعت الملاءات. أحست فجأة بالحر والعطش. قامت بحركة لكي تنهض واصطدمت حينذاك بكتلة ضخمة. جددت حركتها.. كان مصراعا السرير مغلقين! زفرت ودفعت بكل قوتها ثم عدلت عن موقفها وقد شعرت بالتعب. إنه تابوت حقيقي. قامت بمحاولة جديدة ولكن بلا جدوى. كيف أغلق المصراعان عليها؟ غطى العرق كل جسدها. توترت عضلاتها وتقطعت أنفاسها. كان مصير هذه المحاولة هو مصير المحاولتين السابقتين نفسه. هذا بخلاف ضعف قواها.

يجب أن تقتصد في أنفاسها. حاولت "جولييت" أن تسيطر على الخوف الذي يعتريها. هذا الموقف عابث جدًا ويجب أن تخرج منه. أخذت تضرب بقبضة يدها وهي تطلب المساعدة. إنها الوسيلة الوحيدة لجذب انتباه ساكني القصر. كان ريقها يجف؛ دوى صوتها في العدم بسبب الأبواب المغلقة. أخذت تربت وتربت باحتدام يائس.

الفصل السادس

انفتحت الأبواب فجأة. ألقت "جولييت" بنفسها بين ذراعي من مدهما نحوها، وكانت ترتعد.

– ماذا كنت تنوين أن تلعبي؟

إنه "باتريك" وابتسامة خفيفة تضيء وجهه.

– اعتقدت أنه لن يسمعني أحد. هذا بشع.

– لقد انتهى الآن.

– لم أعد أريد النوم هنا.

– انتظري، هناك حل. سأخلع الأبواب.

وخلعهما من المفاصل. ثم قال وهو يتفحصها:

– عجيب! منافذ التهوية تم سدها.

تأملتها "جولييت" بدورها في صمت: لقد تم تسمير الألواح على المنافذ على هيئة قلب.

همس "باتريك" بحيرة:

– ماذا يعني هذا؟

– إنها لم تكن هكذا في اليوم الأول. لقد قلت الفكرة نفسها لـ"الين".

ألقى "باتريك" نظرة دهشة عليها.

– لكن من؟ من يلهو بعمل هذا؟

– لا أعرف فيما أفكر.. إنه.. إنه غير مفهوم تماماً.

تنهدت "جولييت" وسألت فجأة:

– ألديك سرير كبير؟

– نعم، لماذا؟

– لأنني سأشاركك فيه. لا أريد البقاء هنا بمفردي. هناك شيء مريب في هذا الأمر!

– لا يمكن القول بأن هذا طبيعي.

بمجرد أن تمددت بالقرب من "باتريك" قضت "جولييت" بقية ليلتها وعيناها مفتوحتان لتنصت إلى أي ضجة بسيطة.

عندما استيقظ "باتريك" نظر إلى "جولييت" بدهشة ثم بدأ يتذكر ما حدث بالليل. فرك رأسه:

– أتفكرين في محادثة "بيير" بشأن ما جرى؟

– لابد أن يكون هناك تفسير منطقي.

تفرسها "باتريك" عدة ثوان. سألته:

– ماذا هنالك؟

– المصراعان كانا مسدودين بكرسي.

– إنك تمزح؟

لم يكن "باتريك" يمزح. هناك شخص يطرق على الباب. ظهر "بيير بونفيل" ووقف على عتبة الحجرة. بادر بالاعتذار وأغلق الباب.

– ماذا جرى له؟

رفعت "جولييت" كتفيها بدون أن تجيب، وعادت إلى حجرتها لتغير ملابسها. تابعها "باتريك".

– ماذا نفعل إذن؟

قالت "جولييت":

– بصراحة، لا أعرف.

– لنتحدث عن الأمر إلى "بيير".

– لا!

www.rewity.com

أدركت أنها صرخت لتوها. كررت بصوت هادئ:

– لا، هذا سيسبب اضطراب الفريق.

– كما تريدين.. على أية حال، لن أتركك لحظة.

– إنه مزاح. مزاح سيئ. لا يمكن أن يكون هناك سبب آخر.

كانت تتحدث بنبرة لا رجعة فيها.

قال "باتريك" الذي لا يصدق ما سمعه:

– إيه، إنه افتراض ولكن افتراض أحمق.

– لنكن حمقى وحينذاك نحاول اكتشاف المزاح الغامض!

هز "باتريك" رأسه وغادر الغرفة والانشغال واضح عليه.

ارتدت "جولييت" البنطلون الجينز والبلوفر ونزلت.

في المطبخ كان "بيير بونفيل" يحرك ملعقة صغيرة في قدح القهوة. قالت وهي تجهز لنفسها قدحًا.

– صباح الخير.

بما أنه التزم بخفض رأسه ذهبت لتجلس على الطرف الآخر من المائدة.

دخل "مارتان" إلى الصالة وهو يحمل الحطب بين ذراعيه. وقف ساكنًا وتقابلت عيونهما، عينا الرجل المتوقدتان دائمًا وعينا "جولييت" المستفهمتان. لماذا يتفرسها هكذا؟

لقد وضع نهاية لهذا الحديث الصامت ورحل.

كان "بيير بونفيل" منكبًا دائمًا على قدحه. أدار رأسه ببطء نحو "جولييت" وقال:

– صباح الخير. هل نمت جيدًا؟

– لماذا تسألني هكذا؟

قال بنبرة ساخرة:

– إنه الأدب، مجرد الأدب.

فهمت "جولييت" ما يرمي إليه، لكنها لم تنو أن تترك له الكلمة الأخيرة.

– أو بالفضول؟ الفضول فقط؟

– قصصك العاطفية لا تهمني.

– لنقل إذن إنني أخطأت في معنى سؤالك.

– لنقل هذا بالفعل.

وعاد إلى قدحه كما لو كان يبحث عن شيء مهم.

تنهدت "جولييت". هذا التلاعب بالألفاظ ليس ممتعًا على الإطلاق ولا طبيعيًا. إن علاقة بضعة أيام تنحدر كلما مر الوقت. إن "جولييت" تواجه صعوبة في فهم الأمور. لماذا يجب أن تتجمع أحداث غامضة مع غموض علاقتهما؟

قطع أفكارها وصول الفريق المبهج. تفحصت "جولييت" رفقاءها. عمن تبحث؟ من المتسبب في حادث الليلة؟ هزت رأسها وقد أدركت أنها سلكت الطريق الخاطئ.

قال "جان دينيس" وهو يجلس بالقرب منها:

– حسنًا! حسنًا! ما هذه السحنة؟

لاحقته بقولها:

– ربما متضايقة!

اندهش "بيريكل":

– أوه! أوه! ضايقتها!

صاح "باتريك" بنبرة عنيفة:

– لن تبدأوا هكذا منذ الصباح!

استدار الجميع نحوه في صمت مفاجئ. واصل حديثه بالنبرة نفسها:

– النكت التي تقولانها لا تُمتع أحداً.

قال "بيريكل":

– لم تكن تقول هذا يا عزيزي.

– أتريد أن أخبرك بمضمون فكرتي؟

– نعم، إذا كان عميقًا.

– لا أراكما ظريفين في أي شيء، أنت و"جان دينيس" مزاحكما لا يضحك أحداً!

رد عليه "جان دينيس":

– المضحكون ليسوا هنا من أجل الإضحاك.

– وخصوصًا لا مزاح في هذه الليلة!

نظرت "جولييت" إليه بدهشة وحاولت أن تمنعه من الكلام.

– إن مصراعي السرير الذي تنام عليه "جولييت" تم تثبيتهما بكرسي! ماذا؟

نهض "جان دينيس" غاضبًا.

– وتشك فينا بأننا قمنا بهذا المزاح الأحمق؟

– بالضبط! لا أتهم الكرسي بأنه وضع عمداً أمام الباب!

– وماذا عن دورك في كل هذا؟

– أنا لا أمتلك روح الدعابة مثلكما!

صاحت "جولييت":

– كفى!

ألقت نظرة غاضبة على "باتريك" وغادرت المطبخ. لقد توقف المطر. تلألأت الشمس من جديد في السماء الزرقاء. لما كانت تعامل

"باتريك" كأحمق تقدمت نحو الدير. ما حاجته لأن يتحدث عن حادث الليلة؟

توقفت متحيرة أمام المنفذ الذي يقود إلى القبو. لقد تراكمت أفرع ثقيلة أمامه وكان أحدًا أراد منع الدخول. من الواضح أن "مارتان" قرر أن يرعى ملكه! سمعت دبيب خطوات وراءها. استدارت. اقترب "بيير بونفيل" والاهتمام باد على جبهته والغيلون بين شفتيه.

– ماذا حدث في تلك الليلة؟

– ليس لدي ما أقوله.

– إذا لم يتدخل "باتريك"...

قاطعته فجأة:

– لكنه تدخل..

نظر إليها لحظة في صمت.

– أخيراً هناك غرفة أخرى إذا أردت ذلك.

اكتفت بالرد عليه قبل أن تواصل سيرها نحو الغابة:

– شكرًا.

عاودت "جولييت" خطاها. نادتها "ألين" من القصر.

بعد وقت قصير وأمام الكاميرا كانت "جولييت" تلك التي تهرب دائمًا من نظرة الرجل الكريم خشية التبديد الوهمي. كانت الكاميرا تنتقل من هذا الرجل الذي أراد رؤيتها إلى هذه الفتاة التي لا يوجد لها أي مخرج عدا الجنون الذي تسعى – في يأس– أن تتخلص منه.

– اقطع.

عادوا إلى القصر في صمت. لقد تبادلوا بالكاد طوال فترة الصباح بعض الجمل الخاصة بالعمل. جرت أحداث الوجبة في الجو نفسه. فقط

www.rewity.com

كانت "آلين" و"جوليان" يتحدثان بصوت منخفض.

على بلاط المطبخ كان وقع قدمي "مارتان" ثقيلاً دائمًا.

قضت "جولييت" وقتها في ملاحظته بطرف عينها. من وقت لآخر كانت شفتا الرجل العجوز تنطقان بكلمات غير مسموعة. كان يشتغل وكأنه منطو على نفسه. أنزلت عينيها من عليه لحظة ثم أدارت رأسها نحو "بيير بونفيل" الذي كان يوجد أمام "باتريك" الذي كان يتناول كأسًا وهو يتأمل نقطة على الجدار. لمس "بيير بونفيل" المائدة بشرود ومال على طبقه.

توارى "جان دينيس" و"بيريكل" ثم كان الدور على "آلين" و"جوليان". رفع "بيير بونفيل" رأسه. تلاقت نظراتهما لحظة. أدارت "جوليان" رأسها ورأت من النافذة "مارتان" الذي ابتعد نحو حطام الدير.

سألت بصوت عال:

– أين يقطن؟

أجابها "بيير بونفيل":

– ليس بعيدًا عن هنا، في منزل قديم لحارس الغابة.

– إنه شخصية غريبة.

– نعم. الوحدة جعلته مجنونًا. لم يغادر الغابة قط.

– وكيف يأكل؟

– لديه حديقة، ويقوم بالصيد، ويجمع عش الغراب.

قال "باتريك" بصوت عابس:

– إنه على الأقل لا يتضايق من كثرة الناس.

رد عليه "بيير بونفيل":

– لا شيء يمنعك من أن تفعل مثله.

– لا شيء؟ بلى، هناك الخوف من الوحدة.

قالت "جولييت":

– سيكون الآخرون هم الكثرة على ما فهمت.

– لم أقصد هذا.

– ولكن هذا ما قلته.

رفع "باتريك" كتفيه ونهض وخرج. هز "بيير بونفيل" رأسه.

– العلاقات عاصفة اليوم.

– إنها كامنة.

– ماذا تقصدين؟

– العلاقات الإنسانية – الودية أيضًا – ليست ثابتة. ينتهي المطاف بأن يتعب البعض من البعض ولا يجرؤ على قول ذلك، وأحيانًا لا يُقال أبدًا، وحينذاك يكفي حجة لكي تنفجر الأمور. حادث الليلة، استخدم ذريعة لكي يُصفي "باتريك" حساباته.

– لم يبد أن هذا أقلقك؟

– ماذا؟ موقف "باتريك"؟

– لا، حادث الليلة.

كان يوجد في عيني "جولييت" وميض دهشة. هذا الرجل الذي يبدو شاردًا دوامًا شعر بالقلق عليها.

قال مواصلاً حديثه:

– لأنني أفكر فيه منذ الصباح. أعتقد أيضًا أننا جميعًا نفكر فيه.

همهمت "جولييت" وهي تتساءل عن سبب حاجة "باتريك" لأن يحكي ما حدث في حين أنها طلبت منه الاحتفاظ بالسر.

– زوجتي لم تحب مطلقًا هذا القصر. كانت تأتي هنا لكي تسعدني. كنت أسخر غالبًا من مخاوفها، وارتأيت أنها طفولية. لم تعد تحدثني عنها كما لو كانت قد أحست أن شيئًا سيئًا يمكن أن يحدث.

– الأشخاص مفرطو الحساسية لديهم الحاسة السادسة.

– ما الذي جعلك تقولين هذا؟

لم تتحدث "جولييت" عن اللوحة التي اكتشفتها في الصندوق.

– "الين" حدثتني قليلاً عنها.

– إنها حساسة جدًا. كان لديها طريقة في حماية نفسها وتجنب المواجهات. إنها كائن وديع للغاية وعقلها حاضر.

كان يتحدث بنبرة حالمة ومتعبة.

– اعتقدت أنني أحبها، ومع ذلك لم أرغب في سماع ما حاولت أن تقوله لي. هذا الخوف على وجه الخصوص.. لن أسامح نفسي على هذا أبدًا.. وجسدها الذي لم يُعثر عليه..

بعد فترة توقف استطرد:

– فقط منديل عائم ومتشابك مع نبات النيلوفر.

صمت وراح في ذكرياته.

دفعت "جولييت" كرسيها وترددت ثم نهضت وتركته لأفكاره. قبل أن تترك الغرفة ناداها. وجهت إليه نظرة استفهام.

قال لها بعد فترة صمت:

– لا أريد أن يقع لك أي سوء.

– لن يحدث لي أي شيء.

ثم استدارت وانصرفت.

*****

الفصل السابع

قاموا بالتصوير حتى الخامسة مساء قبل أن تبدأ الشمس في الخسوف. بعد وقت بسيط خرجت "جولييت" من القصر وعبرت الجسر. كانت السماء محمرة وتغرق الغابة بضوئها القرمزي. سارت بمحاذاة طريق السور ودخلت بين أشجار البلوط.

وصلت إلى ملتقى الطرق حيث يوجد أربعة ممرات تقطع الغابة. بالقرب من شجرة "السكوا" العملاقة كان يوجد منزل منخفض. اقتربت "جولييت" منه وقرأت اللوحة المثبتة أعلى الباب: "منزل حارس الغابة". ألقت نظرة من خلال إحدى النوافذ التي يغطيها التراب. كان المنزل مظلمًا ولم تميز به أي شيء. بدا المنزل مهجورًا.

حيثما كانت تعاود طريقها تواجدت وجهًا لوجه مع "مارتان".

سألته وهي تتذكر ما قاله لها "بيير بونفيل":

– هل هذا منزلك؟

قال بصوت خافت وبنبرة منخفضة:

– إنه لا يخص أحدًا. لا تبقي هنا. ارحلي. أسرعي قبل أن يحل الليل وإلا ستضيعي نفسك.

نظرت "جولييت" إليه متحيرة. إنه لم يكف عن النظر يمينًا ويسارًا كما لو كان يستعلم عن وجود أحد.

قالت:

– مازال الجو صافيًا.

رفع عينيه نحو السماء ثم نظر إليها.

– إنها سماء النار، حمراء مثل الدم الذي تمتصه الشياطين منذ عصور. وهكذا لابد أن يموت الأتقياء.

- والآخرون يموتون أيضًا.

- لا! من يقتلون الأتقياء لا يموتون أبدًا. إنه محكوم عليهم أن يتوهوا وتمتلئ الغابات بهذه الكائنات الشريرة. هناك أناس ضاعوا فيها، ولم يتم العثور عليهم. أحيانًا حينما تحرك الرياح الرمل نلمح يدًا تقف متوسلة.

ارتعدت "جولييت" وشعرت بالبرد فجأة. ضمت ذراعيها حولها.

قال لها:

- ارحلي.

ما إن مرت أمامه حتى أمسك ذراعها وجذبها ومال نحوها.

قطبت "جولييت". قال لها:

- هل آذيتك؟

لم تجبه "جولييت". لا يجب أن يحس بالقوة التي يمسكها بها.

- لم أرد أن أؤذيك. أردت فقط النظر في عينيك. لكنهما زرقاوان جدًا وعميقتان ويمكن أن يغرق فيهما المرء.

أحست "جولييت" بالضيق. قامت بتحيته ورحلت مسرعة. ثم بدأت تجري بعد ذلك. بادرت بالعودة إلى القصر.

دفعت الباب بسرعة وأغلقته واستندت إليه وهي لاهثة.

قالت لنفسها: "غبية، غبية لأنني تركت نفسي أتأثر بهذه الخزعبلات".

- نقص تدريب!

استدارت "جولييت" نحو "جان دينيس" الجالس بمفرده بالقرب من المدفأة.

سألت وهي تبتسم له:

- أين الآخرون؟

قام بحركة غامضة.

- و"بيريكل"؟

- "بيريكل" في المطبخ. لا يمكننا الدخول إلى هناك. لقد قرر عمل جاتوه بالشوكولاتة. لكن لما رأيت عدد الأواني التي أخرجها اعتقدت انه ذهب ليصنع كمية معينة.

جلست "جولييت" بالقرب منه ومدت يدها نحو الموقد.

- أذهبت للتنزه؟

- نعم.

- أرى أن هذه الغابة مقلقة. أخشى الغابات.

- بضعة أيام أخرى وتجد نفسك في "باريس".

- لم أعد أعلم إذا كنت أحب "باريس". هناك منتزهات كثيرة.

انفجرت "جولييت" في الضحك.

- منتزهات، ربما ولكنها ليست غابات!

- إنني أحب الأسمنت المسلح، الأسمنت الذي يقتل.

- ذات يوم، لن تكون هناك غابة.

- هذا أفضل.

- أين تسكن؟

- بالقرب من "غابة فينسين".

لم تستطع "جولييت" أن تمنع نفسها من الضحك مرة أخرى. أمال "جان دينيس" رأسه ولوى نفسه وبدا عليه الغيظ وهو يضيف:

- وفي كل صباح يوقظني في الفجر شقشقة العصافير. هذا ليس مكانًا للسكن!

ابتسمت "جولييت" ومالت على الحطب الذي تأكله النيران.

صمت "جان دينيس" إلى جوارها وهي تستمع إلى النيران المطقطقة وتغوص في أفكارها وتعيد على نفسها كلام العجوز الغريب. إنه ليس بشخصية مطمئنة ومع ذلك لم تستطع "جولييت" أن تنجذب نحوه. كان يحاول - على الرغم من جمله المخيفة- أن يكشف لها عن سر يؤلمه أو يحاول حمايتها من فعل ضار.

عضت "جولييت" شفتها. مكان غريب، جو غريب. إن كلام "بيير بونفيل" أيضًا غير مطمئن. الخوف، مخاوف امرأة.. هذا الغرق في المستنقع..

على الرغم من أنها حاولت أن تدافع عن نفسها إزاء هذا إلا أن "جولييت" لم تستطع أن تمحو من ذاكرتها إحساسها بأن شيئًا مزعجًا سيحدث. كان هذا بمثابة لازمة متكررة. هزت "جولييت" رأسها. إنها لم تستطع أن تترك نفسها لهذه الانطباعات المحزنة! استدارت نحو "جان دينيس" الذي كان يستند إلى المدفأة وهو يحلم. ظهر "بيريكل" ومسح جبهته بظهر يده.

- لم أعرف عمل الجاتوه بالشوكولاتة..

قالت "جولييت":

- والآن؟

كشر "بيريكل" تكشيرة ندم.

- لا أعلم دائمًا.

- لأي مناسبة كان هذا الجاتوه؟

- إن عيد ميلاد "بيير" اليوم.

- ما عمره؟

قال وهو يستدير نحو "جان دينيس" الذي أذعن بحركة من رأسه:

- أربعة وثلاثون عامًا على ما أعتقد.

نهضت "جولييت" ومرت على المطبخ وتوجهت نحو المستنقع. إنه المكان الوحيد الذي توجد به زهور. دخلت بين الأشجار الكبيرة وجثت على شاطئ الماء وشدت نحوها بعض زهور النيلوفر المزدهرة. كفت الضفادع من حولها عن النقيق، وهذا الصمت المفاجئ كان به شيء منبوذ.

لدى العودة إلى المطبخ بحثت عن كأس لتضع به الباقة ثم وضعتها في وسط المائدة بعد ذلك.

أخرج "بيريكل" الجاتوه من الفرن والانتصار يبدو على وجهه.

- لقد نجح أكثر مما توقعت!

وصلت "ألين" و"جوليان" وهما متعانقان. قال "جان دينيس":

- إنهما لا يفترقان مثل القطط!

نظرت "جولييت" إلى الثنائي وتساءلت عما دفع "بيير بونفيل" ليختار "جوليان روبرت" ممثلاً: إنه يتمتع بوسامة ووجه هادئ، وهو انعكاس لبعض اللطف المتكلف الذي يسبب بعض الضيق. أخيرًا بدا غير متواجد. من ناحيتها بدت "ألين" تعيش حب الإجازات.

وصل "باتريك" بدوره وهو أكثر ارتياحًا. بدا الجو مريحًا من جديد. وضعت "جولييت" الشمع الذي اكتشفته بالقرب من الباقة.

جلسوا حول المائدة أمام زجاجة الشراب. استمعت "جولييت" بشرود إلى الحوار ولاحظت أنهم أكثر تحفظًا عن الأيام السابقة وأقل لامبالاة. على الرغم من هذا المظهر فإن هناك شيئًا تغير منذ الصباح، منذ أن حكى "باتريك" قصة حادثها بالليل. بعد كل هذا هناك بعض الأسئلة التي تطرح نفسها: الأول مثلاً: من صاحب المبادرة في هذا المزاح

www.rewity.com

السمج؟ علمت "جولييت" أنه لا يوجد واحد من الحاضرين مسؤولاً عنها. إنه ليس مزاحًا سمجًا ولكنه عمل عدواني وكريه. من إذن؟ أحد المتسكعين؟ لا، تعلم "جولييت" أن هذا التفسير غير ملائم.

اندهش أحدهم من تأخر "بيير بونفيل". القت "جولييت" نظرة على ساعتها. إنها التاسعة. أين هو؟

قال "باتريك" وهو ينهض:

– سأذهب لأرى حجرته.

عاد بمفرده بعد لحظات.

– إنه ليس هناك. لابد أنه ذهب للتجول. لنبدأ بدونه.

حتى الحادية عشرة لم يعد "بيير بونفيل". لقد قام الجميع من على المائدة عندما طقطق باب الدخول. ظهر "بيير بونفيل" واكتفى بأن يقول وهو يجلس:

– لقد كنت أضيع الوقت.

لاحظ حينذاك الجاتوه والشمع والباقة.

– ماذا يحدث؟

قال "بيريكل":

– كل هذا لأنه يرفض الاعتراف بأنه في الرابعة والثلاثين من عمره.

– لقد نسيت تمامًا. لم أحتفل به منذ فترة طويلة.

ثم استدار نحو "جولييت":

– هل أنت من قطف هذه الزهور؟

– نعم.

تأمل الباقة من جديد. ارتاب "جولييت" فجأة أنها حمقاء لأنها جلبت هذه الزهور. زهور المستنقع الذي غرقت فيه زوجته. لماذا لم

تفكر في هذا من قبل؟

قالت بسرعة:

– سأنزعها.

– لا، إنها جميلة. ثم إن "جوديث" تحبها كثيرًا.

نظر الجميع إلى بعضهم دون أن ينبسوا بكلمة واحدة.

كان "جوليان روبرت" هو الوحيد المندهش من هذا الصمت. قال "باتريك":

– حسنًا، سأقطع الجاتوه.

لمست "جولييت" بالكاد نصيبها. ثم استُونف الحوار.

سأل "بيريكل":

– ذات يوم في أثناء التصوير حصل "فرانسوا" على جاتوه على شكل كاميرا. أتتذكر؟

– إنها مساعدتك التي قامت بهذا، ما اسمها؟

– "لوسي".

– كانت مجنونة بك.

– لابد أن أقول إنها لابد أن تكون هكذا.

قال "جان دينيس":

– راقت لي هذه الفتاة. لكن كان هذا ذات معنى وحيد.

قال "بيريكل":

– أيها المسكين. الرجل الذي لا تحبه النساء!

صاح "فرانسوا":

– لا توقظ الجرح القديم.

لم تقل "جولييت" شيئًا. أحست أنها بعيدة عندما خرجت أخيرًا من

WWW.REWITY.COM

أفكارها لاحظت أن الجميع غادر المائدة. هزت نفسها ونهضت ورأت "بيير بونفيل" واقفًا أمام النافذة أدار رأسه.

– يمكنك الاستقرار في الغرفة المجاورة لغرفتي.

شكرته "جولييت" قبل أن يضيف:

– أغلقي بابك جيدًا.

ظلت ساكنة لحظة ونظرت إليه ثم أدارت عقبيها فجأة. وكأنها تهرب من الرغبة المفاجئة التي تملكتها: الرغبة في البقاء معه والاستماع إليه والتعرف عليه بشكل أفضل.

في الطابق الأول قابلت "باتريك" الذي كان خارجًا من الحمام وسألها:

– أين ستنامين؟

قالت وهي تشير بإصبعها إلى باب:

– هناك.

– آمل أن تكون الليلة هادئة.

بدا أنه يفكر وكاد يقول شيئًا ثم تردد.

– ما الذي يحزنك؟

– لا شيء على وجه الخصوص. لا أحب هذا القصر. لقد أخطأ "بيير" في رغبته في التصوير هنا. يقال إنه يروق له أن يعذب نفسه مع الذكريات التي حدثت هنا.

– ربما يحتاج إلى الاستغراق فيها. إنها وسيلة للتعزيم. الهروب ليس حلاً.

ألم تكن "جولييت" تتكلم عن نفسها وعن مشاعرها نحو "بيير بونفيل"؟

قالت أخيرًا:

– نتحدث دائمًا عن أنفسنا عندما نعتقد أننا نتحدث عن الآخرين.

– ماذا تقصدين؟

قالت مع ابتسامة مليئة بالحزن:

– لا شيء. لا شيء.

لم يصر "باتريك" وابتعد نحو حجرته. نقلت "جولييت" حاجياتها في الغرفة التي ستشغلها. كانت تشبه الغرفة الأولى. كانت النوافذ تطل من ناحية على مدخل القصر. إنها تستطيع رؤية البرج الرئيسي ككتلة داكنة في الليل البهيم.

جلست على السرير. بعد عدة لحظات دوت خطوات في الرواق. طرق أحد على الباب.

دفع "بيير بونفيل" مصراع الباب وظل على عتبته وهو يضع يده على المقبض.

– لم أتصور أن أجدك هنا.

قالت بعد أن تفرسته لحظة في صمت كما لو كانت تحاول فهم مقصده:

– آه.. نعم؟ وأين ظننت أنك ستجدني؟

– مع "باتريك" مثلاً.

هكذا إذن؟ ابتسمت له ابتسامة ساخرة لتخفي إحباطها. قال من أجل أن يواصل حديثه:

– بعد كل هذا، فإن الأمر لا يعنيني.

لم تنخدع "جولييت" بتلميحاته ولكنها لم تبد أي تكذيب، واستمرت في النظر إلى عينيه مباشرة. أغلق الباب برقة.

www.rewity.com

أعطت "جولييت" لكمة قوية إلى الوسادة وهي تلعن بداخلها "بيير بونفيل". الم تكن علاقتهما غامضة بما يكفي حتى يزيدها تعقيداً سوء التفاهم هذا؟ لماذا شعر بالقلق هكذا من فكرة النوم مع "باتريك"؟ ربما تصور بلا شك أن ما حدث بالقرب من البرج يمكن أن يتجدد مع الآخرين.

نهضت وأدارت المفتاح في القفل ونامت وهي تدرك تمامًا أنه سيصعب عليها النوم.

الفصل الثامن

مثل اليوم السابق كانت أشعة الشمس تغمر الغابة. لم تنم "جولييت" بشكل جيد. لقد تخلصت من حرارة السرير على مضض. كانت الساعة تشير إلى الثامنة. بعد أن أخذت دشًا وارتدت ملابسها عادت إلى الطابق السفلي بلا أي حماس.

لقد أوشكوا جميعًا على الفراغ من الفطور في المطبخ. صبت "جولييت" لنفسها قدحًا من القهوة تناولته بسرعة. أحست بأنها حزينة وغير قادرة على التصرف حيال افتقادها للنشاط. جلست على كرسي غير مبالية بما يُقال من حولها. ادركت فجأة أن التصوير سينتهي.

قالت "الين" وهي تضع الماكياج لها:

– لست على ما يرام.

– في الحقيقة نعم.

– بسبب القصر.

لم تحاول "جولييت" أن تجبرها. هل تعرف هي أيضًا ما يجعلها مكتئبة اليوم؟ إن المنعطف الذي أخذته علاقتها مع "بيير بونفيل" لم

يكن غريبًا بالتأكيد على حالتها، ولكن هناك شيئًا غير محسوس: هذا القلق الصامت الذي لا تدري مصدره. أغمضت عينيها تحت تأثير البودرة. عندما فتحتهما كان "بيير بونفيل" قريبًا منها ويبتسم. لم ترد على ابتسامته. أخذت "الين" علبة ماكياجها وابتعدت.

نزعت "جولييت" المنشفة الإسفنجية التي تحيط بوجهها وثنتها بشكل آلي.

– لم أرد أن تندمي على هذا التصوير.

رفعت عينيها نحوه.

– لماذا؟ أهناك أسباب تدعوني للندم؟

– أنا أرعن.

خفضت "جولييت" رأسها:

– إنك في تناقض دائم مع نفسك.

– وأنت ألست كذلك؟

– إنني أحاول أن أعرف ما أريده. أسعى أيضًا الا أجعل الآخرين يعانون شكوكي.

– لأن هذا ما أفعله؟

– إلى حد ما، نعم.

صاح "باتريك" وقد قطع حوارهما:

– هيا بنا.

نهضت والقت المنشفة على المنضدة وتقدما في الوقت نفسه نحو الباب واصطدما ببعضهما. ارتعدت "جولييت" تحت تأثير الاصطدام وابتعدت مضطربة من رد فعلها.

كانوا يصورون مشهدًا جديدًا. من الواضح أن "جولييت" تفكر في

www.rewity.com

شيء آخر. إنها لم تستطع التركيز. كرروا المشهد عدة مرات وكانت ترى أن جميع المشاهد سيئة في حين أن "باتريك" ارتأى أن الأخير مناسب.

هذا المساء يبدو لها طويلاً. إن عقارب الزمن قد توقفت.

– ابتسامة للمصور.

استدارت "جولييت" نحو "جان دينيس" وهي تتنهد وتبتسم له ابتسامة مصطنعة.

قال لها وهو يضغط على الزر:

– إنك تسعين لتدمير عملي.

قال "بيريكل":

– أتسمي هذا عملاً؟

رد عليه "باتريك":

– هذا هو الفن بعينه ولكنني لست متفاخراً.

لمحت "جولييت" فجأة خيال "مارتان" الكبير يتحرك. استدار "جان دينيس" مركزاً كاميرته نحوه. توقف "مارتان" قال وهو يخفي وجهه بذراعه:

– لا.

أصر "جان دينيس":

– سأرسلها لك. ستكون ذكرى.

قال الرجل العجوز بنبرة مهددة:

– قلت لا.

– اتفقنا، اتفقنا.

استأنف "مارتان" مشيه نحو القصر. تابعته "جولييت" بعينيها.

قال "جان دينيس":

– ياله من دب.

قال "بيريكل":

– يفتقد إلى السيكولوجية. إنه يرغب في مغادرتنا للمكان. إن صورة الذكرى التي حدثته عنها هي آخر همومه.

قال "باتريك" وهو ينظر إلى خطة العمل.

– سنصور المرحلة الأخيرة بعد ظهر اليوم.

ثم توجه بالسؤال نحو "جولييت":

– هل يناسبك هذا؟

أجابته وهي لا ترغب في إعطاء تفاصيل:

– نعم. لابد أن أقف على قدمي اليسرى هذا الصباح.

أجابه "بيريكل":

– إذا كان الأمر هكذا أي ليس لديك إلا قدم واحدة فإن هذا لن يسبب أي مشاكل.

قال "جان دينيس" وهو يلقي نظرة من حوله:

– عجباً، بخصوص القدم أين ذهبت قدم "النيكون" الخاص بي؟ "بيريكل" ماذا فعلت بقدمي؟

– عفواً ولكنني لا أحتاج إلى قدمك كي تأخذي قدمي؟

تنهد "باتريك". اندهش "جان دينيس".

– انتبه. الجو سيتعكر صفوه من جديد.

– لا تحك لي مثل هذه الترهات.

تركتهما "جولييت" بدورها ومشت على حافة الغابة. كانت ترغب في أن تكون بمفردها وعزمت على ألا تذهب للغداء. كانت الأشجار

عالية نحو السماء. كانت خطواتها تطقطق على الأوراق. كان هناك صوت خفيف ولكنه سريع. توقفت على بعد عدة أمتار. كانت هناك ظبية تقف ساكنة وهي مندهشة أيضًا مثل "جولييت" التي حبست أنفاسها. استأنفت الظبية جريها وتوجهت نحو المستنقع.

– الجميلة والوحش!

استدارت "جولييت" فجأة. كان "بيير بونفيل" مستندًا إلى شجرة وهو ينفث الغيلون الخاص به، وعيناه مثبتتان على الموقد. قال:

– إنها لم تحدد هدفها بشكل صحيح.

نظرت "جولييت" إليه مندهشة:

– ماذا تفعل هنا؟

– إنني أتبعك.

تفحصته "جولييت" – التي لم تتوقع منه مثل هذا الرد– بنظرة غريبة.

– أهذا يحدث لك غالبًا؟

– لا ولكن ليس لدي هوى الشخص الخرافي.

– إنك تمزح الآن.

– على العكس يحدث هذا لي من حين لآخر. هل أبدو كئيبًا؟

لم تجبه. قال مواصلاً حديثه:

– هذا صحيح. إنني كئيب وصامت ومنافق.

– لماذا تتبعني؟

– هذا هو جانبي المستكشف.

ألقت عليه نظرة ساخطة. بدا أن الغيلون الخاص به ياسره. ضربه بكعب حذائه وأخرج علبة سجائر من جيبه وبدأ يدخن.

– أريد أن أبقى بمفردي.

رد عليها قائلاً:

– الغابة كبيرة ونحن لسنا سوى اثنين.

– حسنًا.. هذا كثير جدًا.

كان واضحًا أنها متضايقة من سخريته. استدارت ولم تر الشجرة وسقطت على الأرض. أسرع "بيير بونفيل" نحوها وساعدها على النهوض.

– هانت لا تعرفين المشي. لحسن الحظ أنني كنت موجودًا.

ضايقته "جولييت" بقولها وتعجبت وهي تنزع الأوراق من على فستانها:

– تقصد إذا لم تكن موجودًا فإنني لم أكن سأقع هكذا.

قال مازحًا:

– ليس لدي فكرة عن التجول في مثل هذا الزي المضحك.

– بدأت أشعر بالملل منك ومن فيلمك ومن قصرك!

– لم أطالبك بأي شيء.

تأهبت للرد عليه عندما فكرت أنه محق. لقد جاء الطلب من "باتريك". إنه من عرض عليها المشاركة في التصوير. كانت "كلير" هي من ستقوم بالدور. "كلير" التي اختارها "بيير بونفيل".

قامت بعدة خطوات ثم استدارت ونظرت إليه في صمت وقالت:

– هذا لا يمنع ما قلته!

اقترب منها، ونظرا إلى بعضهما طويلاً كما لو كانا يحاولان النفاذ إلى فكر بعضهما. كانت نظراتهما تطرح استفهامًا صامتًا بالشدة نفسها. والعناق – الذي سيجمعهما قريبًا– كان له الخطورة نفسها. لقد تركت

www.rewity.com

"جولييت" نفسها فيه مثل الماء الهادئ واستسلمت لهذا العناق.

عندما انفصلا عن بعضهما علمت "جولييت" أنها تحبه وهذا الاكتشاف أخافها.

قالت بسرعة كما لو كان الأمر عاجلاً:

– ساعود إلى القصر.

أمسكت فستانها الذي يعوق سيرها وابتعدت. أحست بالحرارة تكسو خديها.

توقفت أمام باب غرفة الخدم واستعادت أنفاسها قبل أن تدفعه. كان الآخرون لايزالون جالسين إلى المائدة. ابتسمت لهم ابتسامة عريضة ثم اخذت الإبريق وصبت لنفسها قدحًا من القهوة.

قال "جان دينيس" ملاحظًا:

– تبدين مثل الشخص الذي قابل السعادة لتوه.

– كالعادة يقال: "تبدين وكأنك قابلت شبحًا".

– الأمر سواء.. السعادة أو الشبح شيء غير محسوس على الإطلاق.

– هذا الولد شاعر.

قال وهو يتوجه نحو "جولييت":

– لا يوجد غيرك يعرف هذا. إذن كيف تبدو هذه السعادة؟

– غير محسوسة كما قلت لتوك.

قال وهو يتفحصها من رأسها حتى قدميها:

– أكنت تتدحرجين على الأرض؟

– نعم، من الضحك.

– هل رأيت "بيير"؟

– لا، نعم. إنه يتنزه.

– هل هو من جعلك تموتين من الضحك؟

– ليس بالضبط.

– هذا يدهشني أيضًا. إنه ليس محظوظًا إذن.

جحظت عينا "جولييت". قال "جان دينيس" مفسرًا:

– آه، نعم.. تعشق النساء من يضحكهن. لكن هذا الأمر لا يجدي معي.

قال "بيريكل":

– ألم تحاول أن تجعلهن يبكين؟

– إيماني يمنعني من هذا.

توقف الحوار عند هذا الحد. وفجأة كان الظلام دامسًا.

– ماذا حدث؟

خرقت نار الولاعة الظلام. أشعل أحدهم عود ثقاب ومشى نحو النافذة.

– إنه كسوف الشمس.

نهض الجميع بسرعة واندفعوا نحو النوافذ، وفجأة ارتفع صوت مزمجر من ورائهم.

– التضحية ستقع. الأمير انتهك الحرمات. مرة أخرى لابد أن يموت الأتقياء للتكفير عن النفوس الضالة!

استداروا في صمت مدهش. ظهر الضوء مرة أخرى. كان "مارتان" يقف في وسط المطبخ وذراعاه مرفوعتان أعلى رأسه. عبر الغرفة وخرج وهو يصرخ بتعازيم غامضة.

تبادلوا النظرات فيما بينهم بدهشة.

قال "جان دينيس" مندهشًا:

www.rewity.com مـــر مـــور يـــة

– يا إلهي! لا يتبقى إلا الرعد والبرق ويكتمل المشهد!

جلس الجميع عدا "جولييت" التي بقيت واقفة أمام النافذة ووجهها متسمر.

صاحت "ألين":

– هذا الشخص مجنون تمامًا!

– "جولييت"!

أدارت الفتاة رأسها نحو "باتريك" الذي كرر بقلق:

– "جولييت"!

خفضت عينيها كما لو كانت تسعى إلى حل مشكلة صعبة جدًا.

ساد الصمت من جديد في الغرفة. صفق الباب وأعاد "جولييت" إلى الواقع. لقد ظهر "بيير بونفيل".

تعجب "باتريك" وهو يحيطها بذراعه الحامية:

– ليس هذا هو الشخص الذي يؤثر فيك إلى هذه الدرجة.

– إنه يخيفني أحيانًا.

قال "بيير بونفيل":

– لقد قابلت "مارتان". كان يبدو مثل التائه.

ثم استدار نحو "جولييت" وقال:

– لا داعي لخوفك. إنه غريب الأطوار إلى حد ما ولكنه ليس خطيرًا.

بدت "جولييت" متشككة، وكانت تريد أن تشاركه الرأي نفسه.

قال "باتريك" نادمًا:

– خسارة لأننا لم نصور مشهد الكسوف هذا.

– هذا صحيح يا عزيزي!

كان "فرانسوا" قد دخل لتوه وهو يحمل الكاميرا على كتفه. لم

يلاحظ أحد غيابه.

– مؤثر حقًا الإحساس بنهاية العالم! كنت أنتظر تصوير لحظة خلاص القمر من الشمس. أحست بالخوف لعدة ثوان من ألا يعود الضوء أبدًا.

قال "بيريكل":

– إننا متحضرون قليلا. لدينا مخاوف البدائيين نفسها أمام الأحداث الطبيعية.

قال "جان دينيس":

– هذا مطمئن! ويثبت أيضًا أننا لسنا مبرمجين تمامًا.

قال "باتريك":

– بخصوص البرنامج فلدينا واحد يلزم مراعاته. إلى العمل!

قال "جان دينيس" متعجبًا:

– يالك من مبتذل!

قال "بيريكل" فرحًا:

– ولهذا فإنه مساعد مخرج!

خرج الجميع وهم يتبادلون المزاح. استدار "بيير بونفيل" عند عتبة الباب ونظر إلى "جولييت" الساكنة في مكانها:

– هل ستأتين؟

رفعت عينيها نحوه كما لو كانت تبحث عن رد لهذا الانطباع الغريب الذي لم تتوصل لتحديده والذي لا يمت بشيء إلى الواقع، ولكنه يقلقها لا سيما أنها لا تستند إلى عنصر مادي.

– هل كسوف الشمس الذي أخافك؟

هزت رأسها بضيق. ماذا يمكنها أن تقول؟ إنها هي نفسها لا تستطيع أن توضح لنفسها ما يؤلمها. ما فائدة التحدث إليه؟ وضعت مخاوفها

WWW.REWITY.COM
مرمورية

تحت هذه العصبية.

اقتربت من الباب الذي يمسكه بيده. ابتسم لها. قالت في قرارة نفسها: "لحظات ثمينة، لن نفسدها". حاولت أن تبتسم أيضًا لكنها لم تستطع أن تبدو واقعية. لم يخطئ "بيير بونفيل" قط.

– تتظاهرين كثيرًا لكي تكوني طبيعية.

مرت "جولييت" أمامه دون أن تجيبه. لكنه مع ذلك لم يعطها دروسًا.

الفصل التاسع

– لن نصور بالقرب من "مستنقع المشنوقين".

نظرت "جولييت" إلى "باتريك" ثم إلى "بيير بونفيل". من الواضح أنه لا يتجنب شيئًا لكي يغوص في ذكرياته. لحسن الحظ أن هذا الفيلم عبارة عن رحلة في الخيال وإلا لأصبح مرضيًا.

نقلوا المعدات بالقرب من المستنقع. عند اقترابهم اختفى الأوز. تظاهر "جان دينيس" بتصويره.

قالت "جولييت" له:

– اعتقدت أنك لا تحب عصافير الدوري!

– إنني أكره كل الطيور وخصوصًا التي تطير. كراهيتي للعصافير تصل إلى حد الجريمة إذا لم أكن مبالغًا!

قال "بيريكل":

– ألا يوجد غير الطيور التي تطير؟ هناك أيضًا الطائرات والهليكوبترات والصواريخ. هل حاولت قتل طائرة من قبل؟

قاطع "بيير بونفيل" "جولييت":

– اذهبي إلى شاطئ المستنقع. لا، ليس هناك، بالقرب من نبات النسرين. تقدمي قليلاً!

عجبًا، إنه رفع الكلفة الآن فيما بينهما.

قالت شاكية:

– هذا سيسبب ألمًا.

– لا يهم، تقدمي.

نطقت "جولييت" بشتيمة من بين أسنانها.

– إذا استمررت في التقدم فإنه سيلزمني معجزة!

– لماذا؟

– لكي أمشي على الماء!

– حسنًا، تراجعي إذن.

عندما حزموا المعدات كانت الشمس تخبو رويدًا رويدًا مع أشعتها.

ظلت "جولييت" هناك لحظة تتأمل المشهد وتتبع الآخرين بخطى بطيئة ونظرت بشرود إلى آثار خطواتهم على الرمل. أحيانًا عندما تحرك الرياح الرمل فإننا نلمح يدًا تقف متوسلة. مطت شفتيها بحزن. إنها لم تحاول أن تتذكر كلام "مارتان".

مع حلول المساء سكتت الطيور. كان المستنقع صامتًا وراءها خلعت صندلها المليء بالرمل وجرت للحاق بالآخرين.

كان "بيير بونفيل" في المؤخرة. تجاوزته وأدارت رأسها قليلاً. لقد بدا مهتمًا من جديد. مشى ورأسه منخفض نحو الأرض. واصلت "جولييت" طريقها. تابعها "بيير بونفيل" بعينيه وتابع حركات جسمها وشعرها المتراقص وقدميها اللتين تحتكان بالأرض وهذه النظرة التي لم تعرف "جولييت" عنها شيئًا.

www.rewity.com

سأل "جان دينيس":

– أين تجرين بسرعة هكذا؟

لقد رآها جميلة دون شك. أخذها بين ذراعيه ولف بها ثم ألقاها على الأرض.

– إنك خفيفة مثل الريشة!

سأل "بيريكل":

– ريشة الطائر؟

نظر "جان دينيس" إليها بهيئة لوم مصطنعة.

– الريشة لا تصنع الطائر.

توقف "بيير بونفيل" في الطريق ولاحظهما من بعيد.

أسرعت المجموعة نحو القصر في لامبالاة مبهجة. عندما استدارت قبل أن تعبر مدخل باب الخدم كان "بيير بونفيل" قد اختفى. ألقت نظرة نحو الحطام ثم دخلت.

صعدت إلى الطابق على الفور وأخذت حماماً. شعرت بالارتياح مع ملمس الماء الساخن. كان الهدوء قصير الأجل. كل هذه الأسئلة التي ظلت بلا إجابة اجتاحت ذهنها من جديد وحدث هذا مثل الألم العميق. يومان آخران.. يومان وينتهي كل هذا. ستعود إلى "باريس" والمسرح. لن تعذب نفسها بهذا القصر الملعون وساكنيه– "مارتان" و"بيير بونفيل" – والأوهام التي يبدو أنهما يعيشان فيها حتى أصبحا غريبين. فكرت فجأة في القبو الذي كان منفذه مسدوداً وقررت الذهاب لإلقاء نظرة عليه.

بمجرد أن أصبحت في غرفتها ارتدت بنطلون جينز و بلوفراً أسمر وحذاءً برقبة. رفعت شعرها أمام المرآة في ضفيرة وأمسكته بشريط.

نزلت وعبرت الصالة الخالية. لم يصدر أي صوت من المطبخ. دخلت إليه وأمسكت الشمعة والثقاب وخرجت وهي تغلق الباب بهدوء.

كانت ساعة الغسق. مشت نحو الحطام وهي تتفحص الجوار، واستعدت للرجوع في حالة رؤيتها لـ"مارتان". إنها لا تسعى للتواجد أمامه ومعاناة هذيانه السقيم.

بمجرد أن أصبحت أمام مدخل القبو لم تفلح في تحريك الأفرع الثقيلة التي تعوقها. مشت حينذاك في الكنيسة ووصلت حتى المحراب أو على الأقل ما تبقى منه، وتأملت القبة والجدران التي بها نوافذ بلا زجاج ومفتوحة على السماء.

حينما كانت تستعد لأن تستدير لمحت على الأرض بلاطة حجرية موجود عليها حلقة حديدية. مررت يدها عليها وأخذتها. انفتحت البلاطة مثل الصندوق وأظهرت ممراً ضيقاً وسلالم حجرية. أشعلت "جولييت" الشمعة التي جالت بها داخل القبو. يبدو أن السلالم تستمر بعمق في الأرض. ترددت لحظة ثم ألقت نظرة ودخلت من الممر.

كانت السلالم تنزل عدة أمتار وسرعان ما أصبحت في الوسط ورفعت الشمعة. القبو كان عبارة عن حجرة واسعة. بدا المحراب سليماً. تقدمت "جولييت" واقتربت من الهيكل حيث توجد شموع. أشعلتها. كان توجد عدة قواعد منحوتة ربما تخفي مقابر. هناك كتابة لاتينية محفورة على الحجر. مشت نحو منتصف المحراب حيث كان يوجد مذبح آخر. توقفت وهي دهشة: إنه مُغطى بباقات زهور "الوزال" المستريحة على قماش نظيف. وفجأة أفلت منها أنين مفزع: هاتان اللوحتان الموجودتان على منضدة المحراب.. إحداهما الموجودة على صندوق البرج، بينما

الاخرى الموضوعة في إطار فضي ليست إلا صورة بطاقتها الشخصية التي اختفت.

ظلت ساكنة عدة دقائق، وحاولت أن تفهم ما يمكن أن يعنيه هذا الإخراج الجنائزي. لماذا تتواجد لوحة زوجة "بيير بونفيل" وصورتها هنا؟ وكل هذه الزهور التي لاتزال نضرة؟

ارتعدت ثم استدارت فجأة كما لو كانت قد أحست بأنها مُراقبة. لا يوجد أحد. إن خيالها يتلاعب بها. أحست فجأة بالاختناق، ولاحظت لوحة السيد "المسيح" الذي بدت حية.

دون أن تتركها بعينيها مشت بالتراجع، واصطدمت بالمذبح المركزي، وأطلقت صرخة مكتومة، وأسرعت نحو السلم. لقد نسيت أن تطفئ الشموع. عادت لتنفخ في شعلاتها ثم توجهت مرة أخرى إلى السلم الذي صعدته بأقصى سرعة، وأغلقت البلاطة، وقصت رأس الشمعة التي دستها في بنطلونها الجينز، وعادت إلى القصر وهي لاتزال دهشة مما قد اكتشفته.

عندما دخلت المطبخ كان وجهها شاحبًا وكانت يداها باردتين. مرت أمام "جان دينيس" و"بيريكل" اللذين كانا يلمعان الورق دون أن تهتم بنظراتهما المستفهمة.

بمجرد أن أصبحت في الصالة ألقت بنفسها بالقرب من المدفأة لتدفئ نفسها، وشعرت بالغثيان الذي لم تستطع كبحه. أسرعت إلى الطابق الأول ثم إلى الحمام.

غادرته بعد عدة لحظات بخطى مترنحة، وعادت إلى غرفتها حيث تمددت على السرير وهي تغطي نفسها باللحاف. بدا الظلام لها غير محتمل. مدت ذراعها نحو مصباح السرير. لم تكف عن الارتعاش

على الرغم من تغطية نفسها باللحاف. لم تسع إلى السيطرة على هذه الرعشة. لم تعد تريد التفكير في أي شيء على الرغم من أن المساء لم يحل تمامًا إلا أنها راحت في النوم.

بعد ذلك بقليل طرق أحد الباب ثم دفعه برقة. دخل "بيير بونفيل" ونظر إلى الجسد النائم وهو يقطب حاجبيه. مشى عدة خطوات وأعاد وضع اللحاف الذي تزلج. رأى حينذاك الشمعة التي برزت من جيبها وكذلك علبة الثقاب ووضعهما على منضدة السرير. قبل أن يترك الغرفة خلع حذاء "جولييت" وهز رأسه باضطراب ثم أطفأ النور.

كان الجو مكفهرًا تحت هذه السماء الملبدة بالسحب الثقيلة. أفاقت "جولييت" ببطء من نومها، وأغمضت عينيها في الحال تحت تأثير الغثيان الذي شعرت به من جديد.

سألت نفسها: "ماذا بي؟". فتحت عينيها فجأة وتذكرت القبو.

ترددت بين الحلم والواقع طوال عدة ثوان. استدارت ورأت الشمعة والثقاب. ثنت ركبتيها نحو صدرها. إنها لم تكن تحلم إذن. هذا التأكيد جعلها تغوص في اضطراب تام. ما الحقيقة المفزعة التي يخفيها اكتشافها؟ من مدبر هذا العمل الجنائزي؟ لا يوجد غير شخصين يمكنهما هذا: "بيير بونفيل" أو "مارتان". هذا الاستنتاج زاد ضيقها لأنها - بادئ ذي بدء - إذا ارتأته غير معقول أو غريبًا بداخل أعماق نفسها فإن الشك ليس واضحًا أيضًا.

حاولت أن تهز نفسها وجلست على حافة السرير ووضعت رأسها بين يديها. لاحظت حينذاك حذاءها الموضوع على الأرض. من استطاع أن يخلعه لها؟ والمصباح الذي انطفأ.. لابد أن واحدًا من الفريق صعد ليرى ما قد حدث.

نهضت بمجرد أن وصلت إلى الباب حتى دفعه أحد من الخارج.

تراجعت "جولييت" إلى الوراء. دخل "بيير بونفيل" وقال:

– إنك شاحبة. الست على ما يرام؟ يجدر بك أن تنامي. إنك ترتعشين.

أطاعت دون أن تنطق بكلمة، وفكرت أيضًا أنه من الأفضل أن تفعل هذا. بمجرد أن أصبحت في سريرها تفحصت وجه "بيير" بعناية كما لو كانت تبحث عن رد للغز الذي اكتشفته. لم يكن "بونفيل" أحمق بشأن هذه النظرة المتفحصة. سألها قائلاً:

– ما الذي يحزنك هكذا؟ هل أبدو مخيفًا؟

بما أن "جولييت" استمرت في الحملقة إليه دون أن ترد أضاف قائلاً:

– ساحضر لك شيئًا: قهوة أم حليبًا؟

جالت فكرة مفزعة بذهن "جولييت": "وإذا وضع به سمًا؟"

أخذت رأسها بين يديها مرة أخرى. كان وجهها يتصبب عرقًا. قالت في نفسها: "إنني أهذي تمامًا".

– أريد قهوة. ربما تعيد ترتيب أفكاري.

كرر قائلاً:

– ما الذي يحزنك إلى هذه الدرجة؟

أمسكت "جولييت" الوسادة وقالت:

– لا يوجد شيء بعينه. ربما أصبت بالبرد. هذا القصر بارد جدًا.

غاب "بيير بونفيل" ثم عاد بعد لحظات وهو يحمل صينية وضعها على ركبتي "جولييت". أعطاها الكوب. سألته:

– ما هذا؟

– اسبيرين، ماذا تظنينه؟ لن أعطيك سمًا!

– لماذا تتكلم هكذا؟

– لأنه يبدو عليك أنك تشكّين في أنني أريد أن أضع لك سماً.

أخذت الكوب وشربته مرة واحدة ثم دفعت الصينية.

– لا يمكنني ابتلاع أي شيء آخر.

وضع يده على جبهتها.

– إنك محمومة. يجب العثور على طبيب.

– لا تستدع الطبيب من أجل الحمى. سأتحسن في خلال عدة ساعات.

– هل أنت متأكدة؟

– نعم.

دخل "باتريك" بدوره:

– هل سننام إلى الضحى؟

اطمأنت "جولييت" لوجوده. كانت تعلم أنها تستطيع الاعتماد عليه لأنها لا تخشى شيئًا من جانبه.

قال موجهًا حديثه إلى "بيير بونفيل":

– طالما كانت "جولييت" مريضة يمكننا تصوير مشاهد أخرى مع "جوليان".

– لن تتركني بمفردي!

بما أن الرجلين نظرا إلى بعضهما بدهشة تلعثمت بالاعتذار. سأل "بيير بونفيل" مستفهمًا:

– مم تخافين؟

– لا شيء، لا شيء.

– لا تكذبي. يبدو أنك خائفة.

www.rewity.com

ثم أضاف وهو يمشي نحو الباب:

– على أية حال سنصور في الأنقاض. لن نبتعد كثيراً. وإذا احتجت إلى شيء فإن "مارتان" موجود في القصر.

سألت "جولييت" بصوت متشكك:

– ماذا يفعل؟

– إنه يقوم بترتيبه كما هي العادة. أخبرتك قبل ذلك أن هذه عادة مهووسة لديه. أليس "مارتان" هو الذي يخيفك؟

قالت بنبرة ساخرة:

– أوه. لا، إنه مثير للاطمئنان.

خرجا من الغرفة، واستمعت "جولييت" إلى صوت أقدامهما يتخافت في الرواق. أحست بالاطمئنان وقاومت إحساس الخمول الذي يغمرها.

لم تتوان عن سماع الصوت العالي لمشي الرجل الضخم. فكرت فجأة في أنه يجدر بها أن تغلق الباب بالمفتاح. الوقت متأخر!

دفع مصراع الباب وتوقف على عتبة الغرفة ثم قال بصوت خافت:

– إنك مريضة.

لم يكن يسألها ولكنه يؤكد. نظرت "جولييت" إليه دون أن ترمش. تسللت عيناها نحو يدي الرجل العجوز اللتين كانتا جامدتين وعريضتين. لماذا شعرت بالقلق فجأة من يديه؟ ثم نظرت إلى وجه "مارتان". تاملها دون أن ينطق بكلمة ثم أغلق الباب.

مهما كان رأيها في الشخصية، فإنها لم تستطع أن تجده سمجاً تماماً. لديه شيء ما، عنيد مثل الطفل الذي يسعى إلى حماية سر ما. لقد فهمت أن الفريق يبدو له مزعجاً في ظل وحدته وصمته وفي أنقاضه، وهذا القصر الذي يبدو أنه يريد حمايته من التطفل.

ربما يكون هو الذي وضع الزهور في محراب القبو كذكرى لهاتين المرأتين ذواتي العيون الزرقاء، ويجب أن نرثي له على الرغم من فظاظة الفكرة. ربما كانت هذه طريقته في تكريم كل الأتقياء الذين ضلوا في الغابة والذين اغتالهم الأشرار.

هذه الأفكار المبررة أو غير المبررة هدأتها، واستندت إلى الوسادة وجسمها مُتعب من الحمى.

حلمت في أثناء نومها بامرأة يطوف جسمها على الماء وكأنه موضوع على نباتات النيلوفر العملاقة. كانت عيناها مفتوحتين ولكن لا يوجد نفس واحد يخرج من فمها. ونهضت المرأة واستندت بخفة إلى الزهور ثم غاصت في الماء حتى اختفت به. كانت هناك ضجة خفيفة.

فتحت "جولييت" عينيها ورأت "جان دينيس" الذي يربت الكوب بالملعقة الصغيرة. قالت:

– آه، إنه أنت!

– هل توقعت رؤية الأمير الساحر؟

– لماذا؟ ألست ساحراً؟

– بلى، ولكنني لست أميراً للأسف. ساحر بلا أمير ليس له أي أهمية.

ابتسمت "جولييت". قال لها وهو يعطيها منديلاً:

– إنك تنضحين بالعرق.

جففت وجهها، وشعرت بالقلق من هذه الحمى المستمرة.

– لا أعرف ماذا بي. لست مريضة تماماً.

– إنه مرض خفيف يا آنسة.

نظرت إليه دون أن تفهمه.

– لأنك عاشقة.

تنهدت قائلة:

– لا ينقص سوى هذا.

– ما معنى سوى هذا؟ إنه أهم شيء!

– وكيف علمت هذا؟

– لدي فكرة ثابتة في الحياة: أن تكون عاشقًا وأن يعشقني أحد. عندما يحدث هذا للآخرين فإنني أراه على الفور. لست في احتياج إلى موهبة خاصة.

– وماذا تعني بالآخرين؟

– أوه! يالنفاق هذا الفم الجميل! "بيير بونفيل"، أتعرفينه؟

تفرسته لحظة ثم ردت عليه:

– تحليلك تنقصه الموهبة.

مط شفتيه لارتيابه وسوء فهمه أيضًا.

انفتح الباب وظهر "بيريكل" الذي كان يمشي على أخمصي قدميه وقطعة قماش بيضاء تخفي أسفل وجهه وهو يدير عينيه في كل اتجاه.

– أنا الدكتور "جيكل".

ظهرت الابتسامة على وجه "جولييت". لم يكن الواقع – معهما على الأقل – به ما يدعو إلى القلق. جلس على حافة السرير وتفرس "جان دينيس" بتشكك.

– من أنت؟

– إنني كنت أوشك أن أسأل نفسي.

– طمأنتني، ظننت أنك شخص ما.

خلع قناعه وقال:

– أوقفنا التصوير.

قالت "جولييت" و"جان دينيس" في نفس واحد:

– ماذا تقول؟

– كل بكرات الفيلم سُرقت. لقد فُتحت العلب.

دخل "باتريك" والانكسار باد عليه. لم يكن "بيريكل" يمزح إذن.

قال "باتريك":

– أرى أنكما على علم بالأمر.

أخذ كرسيًا وقدمه نحو السرير دون أن يضيف شيئًا.

سألت "جولييت":

– هل الأمر عارض؟

– للأسف لا.

– لكن من يمكنه عمل ذلك؟

– لا أحد هنا لديه سبب للقيام بهذا. هذا لا مبرر له. جزء من العلبة سُرق قبل ذلك. ليس معقولاً أن يكون الحادث مصادفة أيضا مثل المرة السابقة.

صاحت "جولييت":

– لكن أخيرًا! لابد أن هناك تفسيرًا منطقيًا لهذا!

– هذا ما قلته لنفسي. لا يوجد واحد منا يهمه ألا ينتهي الفيلم، وإذا كان الأمر كذلك فإن هناك وسائل أكثر فعالية منذ بداية التصوير. الأمر كله ساذج وغير متلائم.

– متى حدث هذا؟

– في الصباح عندما كنا نصور في الأنقاض.

قالت "جولييت":

– لم يكن هناك أحد سوى "مارتان" وأنا.

– نعم، ولكن يمكن استبعاد هذا العجوز المسكين على الفور. كثير جدًا أن يقوم بهذا الأمر في ضوء القمر الساطع.

قال "جان دينيس" و"بيريكل" في صوت واحد:

– تتبقى "جولييت"!

رفعت كتفيها. فكرت في "بيير بونفيل".

– وماذا عن "بيير"؟

– لم يبد أي ملاحظة. لم يكن له رد فعل سوى أنني أخبرته بأن الجو اليوم سيتحسن. من الواضح أنه اعتبر هذا شيئًا حتميًا مثل القدر الذي لا يمكن التمرد عليه.

مطت "جولييت" شفتيها. حاولت عبثًا ولكنها لم تجد تبريرًا واحدًا لما قد حدث.

سألت قائلة:

– والآن ماذا تنوون القيام به؟

– لا يوجد ستة وثلاثون حلاً (ليس هناك الكثير من الحلول).

الفصل العاشر

ظل الأربعة صامتين.

خرج "بيريكل" و"جان دينيس" من الغرفة بعد عدة لحظات. ظل "باتريك" جالسًا وهو يتأمل بشكل غافل طرف حذائه.

قالت "جولييت":

– يوجد مكان أقرب من "باريس" لشراء الأفلام.

– لا يوجد في "باريس" إلا أفلام خمسة وثلاثين ملليمترًا.

– ألا توجد وسيلة للذهاب والعودة؟

– لا.. "فرانسوا" سيرحل غدًا بعد الظهر لتصوير فيلم آخر.

– الأمر بشع حقا.

هز "باتريك" رأسه.

– الأمر غير مفهوم، غير مفهوم تمامًا.

اقترحت "جولييت":

– وإذا ذهبت أنا إلى "باريس"؟

– إذا كان يجب أن يذهب أحد فإنه لن يكون أنت. عيناك حمراوان من الحمى. كنت سأذهب مكانك ولكنه يوم الأحد.

كررت "جولييت" بصوت دهش:

– الأحد؟ مبكرًا هكذا!

لقد كانت مهمومة لأن الأيام مرت هكذا دون أن تدرك هذا. لقد وصلت الثلاثاء الماضي في المساء. إنها تتواجد هنا منذ ستة أيام. قطع دخول "ألين" أفكارها. كانت تحمل حقيبة جلدية. قالت بشكل نادم:

– أنا و"جوليان" راحلان. ليس من الضروري أن نبقى. على أية حال لست تعيسة بمغادرة هذا القصر. لم أشعر فيه بالارتياح منذ أول ليلة. إنه مجرد حدس، ولكنني أعتقد أنه يجب أن أرحل أيضًا. هذا المكان به شيء غير سليم.

قال "باتريك" بصوت متضايق:

– أوه! أرجوك!

لاحقته "ألين" بحزن:

– أعلم أنك تتصور أنها قصص فتاة طائشة!

– اعفني من افتراضاتك!

ألقت عليه نظرة مليئة باللوم ثم قالت قبل أن تستدير:

– ليس مجديًا أن تتصل بي من أجل تصوير قادم!

بمجرد أن أصبحت قبل الباب استدارت نحو "جولييت":

– ألا تريدين المجيء معي؟

ابتسمت "جولييت" لها وردت عليها:

– كلا. ثم إن لدي سيارتي. أشكرك.

كانت "ألين" ستضيف شيئًا لكنها تراجعت وتركت الغرفة.

نفخ "باتريك" بشدة ونهض وجاب الغرفة بخطى عصبية.

– القصة تتكرر. الفيلم الأخير كانت نهايته سيئة.

قالت "جولييت" وهي تتذكر ما قاله لها قبل عدة أيام:

– في تلك السنة التي غرقت فيها "جوديث".

– كنت ساقتله!

نظرت "جولييت" إليه بدهشة:

– عمن تتحدث؟

– عن "مونتيل" المنتج!

تسمرت عينا "جولييت" وزادت نبضات قلبها. نظر "باتريك" إليها بشدة كما لو كان قد تذكر فجأة ما حكته "جولييت" ذات مساء بخصوص اسمه.

– هذا غريب، عندما ذكرت هذا الاسم حدثني بشيء غريب وعاد إلى ذاكرتي فجأة.. لا تخافي هكذا. لست مسؤولة عن أعمال والدك.. لكن يا لها من مصادفة غريبة..

تذكرت "جولييت" النظرة التي ألقاها عليها "بيير بونفيل" في أمسية هذا الحوار ثم على "باتريك" قائلاً عن المخرج: "إنه ليس من النوعية التي

تتحاور". عضت على أناملها. إن المصادفة التي يتحدث "باتريك" عنها إذن كبيرة جدًا، وعلى الرغم من عدم مسؤوليتها عنها فإنها تدخلت أيضًا في هذا الفشل الثاني.

جف حلقها وأرادت النهوض لكي تبحث عن كوب ماء. بمجرد أن وضعت قدميها على الأرض أحست أنها تخور تحت قدميها.

أسندها "باتريك" وساعدها على التمدد. كانت "جولييت" تتنفس بصعوبة وقطرات العرق تنسال على وجهها. خرج "باتريك" ثم عاد بمنشفة مبللة بالماء ووضعها على وجهها.

– لابد أن درجة حرارتك تصل إلى الأربعين.

– أيمكنك أن تحضر لي ماء؟

وافق "باتريك". بعد عدة لحظات أعطاها كوب الماء. ثم نامت "جولييت". توارى "باتريك" وأغلق الباب بهدوء.

في نومها كانت "جولييت" تتعارك ضد جيش من الأشباح المخيفة جدًا. عندما أفاقت من أحلامها المضطربة كان المصباح إلى جوارها مشتعلاً. جلست على السرير. لم تعد محمومة. نظرت إلى النافذة. كان الليل قد حل. ألقت نظرة على ساعتها والصقتها بأذنها. لقد توقفت.

دفعت "جولييت" اللحاف، وقفت، ومشت عدة خطوات في الحجرة. لقد شعرت بتحسن. ارتدت حذاءها وخرجت إلى الرواق حيث كان الصمت يخيم تمامًا. توجهت نحو السلم.

كانت صالة الطابق الأرضي خالية. كان لايزال في المدفأة بعض الحطب الذي لايزال متوهجًا. عبرت "جولييت" الصالة ودخلت المطبخ الغارق في الظلام. كم الساعة الآن؟

ضغطت على الزر وتوجهت نحو بيت المؤن. كانت تموت من الجوع. أخذت منه خبزاً وسجقًا وكأسًا.

تساءلت أيضًا عمن يمكن أن يكون في القصر. إنها ستذهب إلى الفناء. لم يعد متبقيًا إلا ثلاث سيارات. لقد رحل "فرانسوا" و"بيريكل" و"جان دينيس" أيضًا. كان الليل هادئًا ولطيفًا.

تنفست "جولييت" بعمق. ألقت نظرة من حولها ثم دخلت. كانت ستطفئ نور المطبخ. لكن جذب انتباهها فجأة وميض مشابه لما قد رأته قبل ذلك في ذات ليلة. انتقل الوميض من مكانه هاربًا بين الأنقاض، بعد عدة ثوان ابتعد في الغابة وقد أصبح نقطة صغيرة اختفت بعد فترة.

أضاءت النور وأخذت شمعة من على الشمعدان، واكتشفت بالقرب من الموقد علبة ثقاب، وضغطت على الزر وخرجت.

مشت ببطء نحو الدير. خرقت الصرخة المدوية للبومة حاجز الهواء. توقفت "جولييت" وهي دهشة قليلاً ثم استأنفت سيرها والرمل في الطريق يعيق خطواتها. بمجرد أن أصبحت تحت جناح الكنيسة أشعلت الشمعة ووجهتها نحو الأرض لتجد البلاطة. عندما اكتشفتها رفعتها ونزلت عدة درجات ثم أسقطتها بهدوء. لم تستطع "جولييت" أن تمنع نفسها من التفكير فيما قد يحدث إذا لم تستطع فتحها ولكنها سرعان ما نزلت.

بمجرد أن وصلت إلى المحراب توجهت نحو المذبح الرئيسي وأشعلت الشموع وأخذت الشمعدان الصغير وذهبت باتجاه وسط القبو. رفعت الشمعدان. باقات الزهور لم تعد موجودة. لقد وضع مكانها نباتات النيلوفر.

تذكرت غدوات ورواحات "مارتان" الليلية والوميض الصغير الذي

ابتعد في الغابة. تذكرت جملة "بيير بونفيل": "جوديث" تحب كثيرًا هذه الزهور".

كلما فكرت قالت لنفسها إن هناك شيئًا مؤثرًا. ربما اضطرب "مارتان" بسبب الموت المأساوي لزوجة "بيير بونفيل" وهكذا يقوم بتكريمها. لكن لماذا يضع صورتها أيضًا؟ هل هو وسواس العيون الزرقاء؟

جلست "جولييت" على أحد القواعد الحجرية المشابه لتلك الموجودة في وسط القبو. وضعت عليها الشمعدان ووقعت عيناها على لوحة تذكارية منقوشة بشكل جنائزي: "هنا يرقد.." وجدت صعوبة في فك شفرة الجزء المتبقي ومالت: "جوديث بونفيل".

ظلت دهشة أمام اكتشافها وحملقت إلى اللوحة التذكارية. دارت عدة جمل في رأسها: "لم يتم العثور على الجثة.. فقط منديل عائم". همست: "غير معقول". ثم أرادت قراءة اللوحة التذكارية مرة أخرى وقربت الشمعدان. كادت أن توقعه من فرط انفعالها! هناك تحت اللوحة التذكارية الأولى منقوش اسمها في الحجر: "هنا ترقد "جوليت مايانس"!" حملقت بشدة إلى الكتابة الحمقاء وهي تشعر بدهشة غريبة.

وفجأة، تسمرت في مكانها. هناك خطوات تدوي على درجات السلم مما كان له رد فعل في القبو. اعتدلت "جولييت" فجأة وجالت رجفة شديدة بجسمها.

كان خيال "مارتان" ظاهرًا في أسفل السلم. كتمت صرخة كادت أن تفلت منها. تقدم نحوها وقال بصوت ناعم:

- ليس مستحسنًا أن تكوني هنا، ليس مستحسنًا على الإطلاق.

كانت "جولييت" تشعر بالرغبة في الصراخ لكنها كتمت صرختها.

قالت متلعثمة بصوت متقطع وهي تشير إلى القبر بأصبعها:

– ماذا يعني هذا؟

أضاءت ابتسامة حمقاء وجه العجوز.

– سأريك لأنك تقية أيضاً مثلها.

وضع المصباح الصغير تحت قدميه واقترب من القاعدة، وبدون أي مجهود ظاهر أزال البلاطة التي كانت تغطيها وأظهر جزءاً من القبر.

قال وهو يستدير نحو "جولييت":

– تعالي لتري.

رفضت وهي تهز رأسها.

كرر بصوت استبدادي:

– تعالي.

بما أن "جولييت" لم تتحرك خطا خطوة نحوها وأمسكها من ذراعها ودفعها نحو القبو. تراجعت وهي تشعر بالخوف، لكنه أمسكها بقوة وقال:

– انظري.. كم هي جميلة!

قالت "جولييت" وهي تهز رأسها:

– لا، مستحيل، مستحيل!

كانت "جوديث بونفيل" نائمة على الحجر نفسه، عارية وجسدها سليم مثل المومياء: هناك ثقبان فارغان فقط مكان عينيها.

أحست "جولييت" بأنه سيُغشى عليها. خفضت رأسها وتقطعت أنفاسها. زادت نبضات قلبها بشدة حتى أحست أنه سينفجر. لم تعد تشعر بالألم الذي تسببه أصابع الرجل المغروسة في ذراعها. نظرت إليه ومازالت الابتسامة تموج على قسماته. صاحت قائلة:

– إنك مجنون! مجنون تماماً!

استدار نحوها. لقد اختفت ابتسامته تاركة مكانها تكشيرة عابسة شوهت قسماته. دفعها بقوة. اصطدمت "جولييت" بالأرض بقوة. نظر إليها بدهشة كما لو كان لم يدرك ما قد فعله.

حاولت "جولييت" النهوض. ما إن تقدم نحوها حتى وقفت ساكنة واستندت إلى مرفقها. أخرج من جيبه حبلاً سميكًا قطعه بسكين ثم جثا بالقرب من "جولييت".

صاحت وهي تتعارك:

– لا!

استمرت في الصراخ ولكنه ألصقها بالأرض بيديه القويتين وربط قدميها ويديها.

قال وهو يمرر أصبعه على شفتيها:

– صه، لا يجب إيقاظها.

عضت "جولييت" شفتها خوفًا من هذه النبرة غير المفهومة، وأحست بأنها جامدة مثل الحجر الذي ترقد عليه. ماذا سيفعل بها؟ أيقتلها؟ نهض وقال وكأنه رد على أفكارها:

– اللحظة لم تحن بعد. الرياح لم تهب بعد على الغابة.

قالت متلعثمة:

– لقد قتلت "جوديث بونفيل".

نظر إليها كما لو كان لم يفهم ما قالته. قال مكرراً:

– عندما ستهب الرياح.

أمسك المصباح ونفخ في كل الشموع. سمعت "جولييت" صوت خطواته الذي يخفت والارتطام الخافت للبلاطة التي تنغلق.

لم تستطع كتمان تحيبها الساخط والعاجز. لن يعثر عليها احد هنا. لماذا عادت إلى هذا المكان؟ أي قوة دفعتها إلى هنا؟ حاولت أن تسيطر على الخوف الذي تملكها. عندما أرادت أن تتحرك جرح الحبل جلدها، تأوهت.

الفصل الحادي عشر

كم ساعة بقيت "جولييت" هكذا وعيناها مفتوحتان على الظلام، وعرقوباها ومعصماها يتألمان؟ لقد نجحت في أن تجر نفسها عدة أمتار وهي تأمل الذهاب باتجاه السلم، ولكنها ارتطمت بعقبة. ظلت راقدة وخدها على الحجر البارد وجسدها يتألم من مجهوداتها. كانت تعلم أن الصراخ بلا جدوى. انتحبت من جديد.

عما قريب دوى صوت أقدام. لقد عاد "مارتان". اكتسح مصباحه القبو ثم وقف ساكنًا أمام "جولييت" التي أغمضت عينيها وقال لها:

– اسمعي.

لم تكن هناك أي ضجة. وفجأة سمعت صوتًا بعيدًا مثل الرياح البسيطة. استمعت أيضا.. الرياح، ألقت عليه نظرة رعب.

أشعل الشموع ووضع المزيد حول ضريح الفتاة. كان المشهد جنائزيا ومدهشا في الوقت نفسه. تساءلت "جولييت" عما إذا كانت تحلم أم لا. كل شيء يبدو غير حقيقي.

ظل "مارتان" واقفا بالقرب من القبو يتأمل جسد الميتة بشيء من الغبطة. أغمضت "جولييت" عينيها. هذا الحلم غير محتمل.

همس "مارتان" برقة:

– يجب أن تموت.

أعادت فتح عينيها.

تساءلت وهي تكتم رعشة في صوتها:

– لماذا يجب أن تموت؟

– العينان زرقاوان وصافيتان..

كان يهذي. لا داعي للإصرار.

قال مواصلا حديثه:

– إنها سترتاح في هدوء هكذا.

تلعثمت "جولييت":

– هل.. هل أردت أن تأخذ عينيها؟

– فقط عينيها وليس جسدها.

نظرت "جولييت" إليه بدهشة. بماذا تجيبه؟ إن كلامها لن يكون له معنى. إنه مقتنع بلا شك أنه لم يقتلها مادام كان جسمها موجودًا هنا وسليمًا.

واصلت "جولييت" بتردد دائمًا:

– وجسدها، هل حنطته؟

– لا، لا، الحجر هنا معجزة. إنه يحتفظ بالجسم حيًا.

استعادت أنفاسها.

– يجب أن تتركني يا "مارتان". لابد أن أرحل.

كانت توضح له وهي تضغط على كل كلمة من كلماتها. تفرسها بدهشة واقترب منها وقطع قيودها.

دلكت "جولييت" كاحليها ومعصميها وهي تفكر في الطريقة التي يمكنها أن تتفاهم معه بها. نهضت وهي تنوي ألا تقوم بحركات مفاجئة.

قالت وهي تنظر مباشرة إلى عينيه:

– ساخرج.

بدأت تتراجع ببطء وكانت تتوقف من حين لآخر. لم يتحرك الرجل العجوز، ولكن عينيه مصوبتان عليها. تراجعت "جولييت" مرة أخرى. ألقت نظرة سريعة لتقدر المسافة التي تفصلها عن درجات السلم الأولى. ثم نظرت إلى "مارتان"، وفجأة ارتعد وجه هذا الأخير. حرك رأسه كما لو كان قد أفاق من حلم. قال متذمرًا:

– أين ستذهبين؟ لا تتحركي.

أصبح صوته فظًا بشكل مفاجئ. ضغطت "جولييت" على معصميها. كانت تعلم الآن أنه ليس مجديًا أن تحاول محادثته.

صرخ قائلاً:

– لقد دنست هذا القبو! إنكم جميعًا تسخرون مني! مني أنا حارس الدير!

أحست "جولييت" أن شيئًا حتميًا سيحدث. إن أي حوار غير ممكن. إنه صاحب السلطة البشعة ولن يزعزع أي شيء هذه القدرة التي تحركه.

ساد الهدوء القبو مرة أخرى. ابتلعت "جولييت" ريقها بصعوبة، وتزايد معدل تنفسها. الهواء الذي كانت تستنشقه بدا لها مثيرًا ولاذعًا. هذا آت بلاشك من القبر المفتوح. وضعت يدها على حلقها. إن جلدها رطب ولكن بداخلها يوجد ما يشبه الرياح الباردة. هناك عشرة أمتار تفصلها عن السلم. جالت بخاطرها فكرة مجنونة وهي الجري نحو درجات السلم. أغمضت عينيها وحاولت أن تستجمع شجاعتها. ألن تجازف بهذا الشكل وتزيد غضبه؟ ربما يستحسن انتظار أن تهدأ الأمور ثم تحاول التحاور. كتمت تأوه عجزها.

نظرت باتجاه "مارتان". كان يبدو متسمرًا لكن عينيه المصوبتين

نحوها لا تبدوان أنهما تريانها. لم تجرؤ "جولييت" على تنفيذ محاولتها طالما كانت الأمور تسير بهذا الشكل، وهكذا تكسب عامل الوقت. تكسب وقتًا؟ من أجل أن تفعل ماذا؟ لا يوجد أي شيء للأسف تأمله أو أي مخرج تنتظره إذا لم يستعد "مارتان" وعيه.

حينذاك تحرك الضخم وكأنه تمثال. نظرت "جولييت" المرعوبة إليه وهو يتقدم نحوها. رأت فجأة نصل الخنجر الذي كان يضغط على مقبضه. وبنبرة تبدو رقيقة كرر كلمات يبدو أنها تتملكه.

– عيناك زرقاوان، زرقاوان جدًا، جدًا..

نجحت "جولييت" في التراجع خطوة ثم خطوة أخرى. كان الرجل يتقدم باستمرار. تخبطت بالهيكل وتمالكت نفسها. كان يتقدم بخطى بطيئة لكنها كبيرة. استمرت في التراجع واستدارت ثم قفزت نحو السلم وبدأت تصعده، وكانت ساقاها مترنحتين لكنها ساعدتهما بيديها. كانت خطواته تدوي من خلفها دوامًا مع هذا البطء المخيف.

كانت البلاطة مغلقة أعلى درجات السلم. زفرت ودفعت بكتفها. بدأت الخطوات صعودها المخيف. أفلتت صرخة رعب من فم "جولييت" عندما جاء ضوء المصباح على وجهها.

كان الرجل قد انقض عليها ورفعها ونزل بها درجات السلم. استمرت في الصراخ والتعارك. لكن لكمات قبضتيها وقدميها كانت بلا فائدة. لم تعد "جولييت" تفكر في أي شيء. استسلمت في المعركة الأخيرة. وبالطريقة نفسها التي ربطها بها في الأرض ربطها مرة أخرى في إحدى الدعائم.

كان يتصرف بدون أي وحشية غير مبال بكل ضرباتها وهو منهمك في مهمته التي لا تتطلب منه أي مجهود. كل حركة من حركاته كانت

محددة ولم يعكس وجهه أي كراهية. كما لو كان لديه واجب يلزم أن ينفذه، وبدا عازمًا على تكملته على خير ما يرام.

عندما قرب النصل من وجه "جولييت" أغمضت عينيها وبدت صامتة وهي على حافة الغشية. أمسك شعرها.

– "مارتان"!

فتحت "جولييت" عينيها. كان "بيير بونفيل" موجودًا على بعد خطوات منها. قال بصوت هادئ:

– إنه أنا يا "مارتان"، هل تعرفني؟

ترك "مارتان" شعر "جولييت" التي تفرست في "بيير بونفيل" الذي واصل حديثه:

– لن يأتي أحد إلى هنا أبدًا. هذا القصر ملكك. امسك، إنني أعطيك المفاتيح.

نظر إليه "مارتان" دون أن يفهم. مد "بيير بونفيل" يده إليه بسلسلة من المفاتيح.

– ستصبح الساكن الوحيد للقصر. لن يأتي أحد إلى هنا.

عكست عينا العجوز اندهاشًا طفوليًا.

– لم أؤذ أحدًا. لم أؤذ أحدًا.

– أعرف هذا.

– إنهم الأشرار الموجودون في الغابة.

– لم يعد الأشرار موجودين. لقد طردتهم.

بدت الدهشة والإعجاب على وجه "مارتان":

– هل طردتهم جميعا؟ ألم يعد هناك أحد؟

– لم يعد هناك أحد.

– ألن يتأوه الأبرياء بعد في اليوم الذي تهب فيه الرياح؟

– كلا. اسمعني، لقد استعادوا راحتهم.

تقدم "مارتان" دون أن يهتم بالمفاتيح التي يعطيها له "بيير بونفيل" ومشى نحو السلم مثل النائم مغناطيسيًا.

تنهدت "جولييت" تنهيدة ارتياح. خلصها "بيير بونفيل" من قيودها دون أن ينطق بكلمة، وساعدها على الوقوف، وأسندها وصعد بها السلم. بمجرد أن أصبحت في الهواء الطلق تركت نفسها تسقط على الأرض وتلعثمت:

– كنت خائفة جدًا، جدًا. لقد وصلت في الوقت المناسب.

– كنت أبحث عنك وسمعت صرخة لم أستطع تحديد مكانها. احتجت إلى عدة ثوان لكي أدرك أنها صادرة من القبو. يا لجنونك حتى تأتي إلى هنا!

تنهدت "جولييت" ثم قالت:

– سامحني. اتركني أستعد نفسي. لا أعلم أين أنا.

نهضت بصعوبة ثم قالت:

– أحتاج إلى شرب أي شيء، أي شيء.

مشيا في صمت حتى القصر ودخلا المطبخ. جلست "جولييت" على أول كرسي، وكانت أسنانها تصطك ببعضها. أحضر "بيير بونفيل" لها كأسًا شربته على الفور. ثم أمسكها من ذراعها وتوجها نحو الصالة.

– اجلسي بالقرب من المدفأة. سأحضر لك غطاءً.

أحست "جولييت" رويدًا رويدًا بالحرارة تكسوها. كان رأسها ثقيلاً وتركته يسقط على ركبتيها. عاد "بيير بونفيل" ووضع غطاءً على كتفيها.

قال وهو يقطع حاجز الصمت:

– كل هذا خطئي أنا. لم أدرك أن جنون "مارتان" يمكن أن يشتط بعيداً هكذا.

لم تجبه "جولييت" وظلت ساكنة.

– افتقاري إلى الوضوح كاد يكلفك حياتك.

– كف عن اتهام نفسك. لم أكن متبصرة بالموقف مثلك أيضاً. حادثة تلك الليلة التي وجدت فيها نفسي محبوسة في السرير لم يكن مزاحاً. كنت أعلم هذا ولكنني لم أرد الاعتراف بذلك. في هذه الليلة لم يسع "مارتان" لقتلي على الأقل كما تصورت. القتل ليس شانه، وجنونه لم يصل إلى هذا الحد حينذاك. لقد أراد أن يخيفنا منذ وصولنا طالما كان هو الذي...

في هذه اللحظة دخل "باتريك" مسرعاً إلى الصالة وتوقف عندما رأى "جولييت" ثم قال بدهشة:

– أنت هنا؟ أين كنت؟ إننا نبحث عنك منذ ساعات في كل مكان تقريباً.

قالت بصوت متحير:

– يمكنني أن ألومك لأنك لم تبحث في المكان الذي ينبغي فيه ذلك.

لاحظت حينذاك أن النهار قد سطع وسألت:

– كم الساعة الآن؟

– الرابعة تقريباً.

لقد قضت إذن ما يقرب من خمس عشرة ساعة في القبو. كان يجب أن تتحدث عن اكتشافها المرعب إلى "بيير بونفيل".. لقد أحست بجفونها ثقيلة، ووضعت رأسها على ركبتيه ونامت.

الفصل الثاني عشر

عندما فتحت عينيها كانت أشعة الشمس قد تسللت إلى الغرفة. تساءلت عن الساعة في ذلك الوقت.

دهشت لوجودها في سريرها وتزايدت دهشتها أكثر عندما لمحت "باتريك" – الذي كان يقرأ – وهو جالس على كرسي قريب من النافذة. استدارت نحوه وهي تتنهد. التفت هو الآخر نحوها.

– ماذا تفعل هنا؟

– تناوبت أنا و"بيير" حتى لا نتركك بمفردك.

– هل حكى لك ما حدث؟

– نعم، هذا مرعب.

– كان مرعباً ولم يعد كذلك.

قال وهو ينهض:

– حسناً، إنك لا تفتقدين إلى رباطة الجأش.

– الخوف مثل الألم. عندما ينتهي هذا – حتى لو تكلمنا عنه – لا نشعر بالخوف أو بالألم.

ثم أضافت بعد فترة صمت طويلة:

– هناك شيء يجب أن أخبر "بيير" به.

– ما هو؟

– يستحسن أن أريك.

نهضت وبحثت عن حذائها بعينيها.

– أين حذائي؟

– لابد أنه موجود بالطابق السفلي.

نزلا معاً ووجدت حذاءها بالقرب من المدفأة وارتدته.

www.rewity.com

– تعال.

بمجرد أن أصبحت في المطبخ جذبت الأدراج وكشفت في أحدها عن مصباح الجيب. خرجت. تبعها "باتريك" دون أن ينطق بكلمة. بمجرد أن أصبحت في الدير جذبت البلاطة، وأشارت إلى درجات السلم، ودعت "باتريك" إلى النزول. وفي القبو أمسكت يده واصطحبته إلى القبر شبه المفتوح.

قالت وهي تصوب الضوء من الداخل:

– انظر.

ظل "باتريك" صامتًا عدة ثوان ثم تلعثم قائلاً:

– إنها.. إنها "جوديث".. هذا مفزع، مفزع. لكن ماذا يعني هذا؟

– هذا يعني أن "جوديث" لم تغرق. لقد قتلها "مارتان"، من وجهة نظرنا على الأقل. أما من جانبه فإنه مقتنع بحمايتها من خطر كبير، الذي يمثله بالنسبة إليه وجود الكائنات الشريرة التي تجول في الغابة. هناك أيضًا الأسطورة التي لها علاقة بالقصر. لابد أنه عمل خليط.

– لكن جسدها سليم تمامًا.

– لقد حُنط بواسطة الحجر.

– فهمت الآن لماذا لم نعثر على جسدها.

– لم تواتني الشجاعة للتحدث إلى "بيير" بشأن ذلك.

لم يرد "باتريك" وعيناه مصوبتان على الجثة ثم همس:

– تبًا، هذا بشع.

توقفت "جولييت" عن إيضاح الوجه الخالي من العينين. وقعت عينا "باتريك" على اللوحة التذكارية المنقوشة التي تاملها بدهشة. رفع عينيه نحو "جولييت" وهز رأسه.

– لقد وصل "بيير" في موعده بالضبط.

– نعم بالضبط. كنت ساخضع للمصير نفسه.

– كما في المشهد الأخير الذي لم نصوره..

ابتسمت "جولييت" ابتسامة حزينة:

– ها هو بدون كاميرا.

غادرا القبو وأغلقا البلاطة. سألت "جولييت":

– أين "بيير"؟

– أخبرني بأنه سيقوم بجولة أخيرة.

– هلا مشينا قليلاً؟

وافق "باتريك" وابتعدا معًا. فكرت "جولييت" في "بيير بونفيل"، في هذا الحب الذي لن يمكنها أن تعبر عنه أبدًا. كان اليوم فاترًا ولطيفًا ومع ذلك كانت ترتعد. لمح "باتريك" هذا ومرر عليها الشال الذي يرتديه. مررته حتى عنقها دون أن تربطه.

– أشعر بالبرد بالداخل.

– هل تحبين "بيير بونفيل"؟

نظرت إليه في صمت، ثم أدارت عينيها دون أن ترد.

قالت بعد لحظات:

– هناك هكذا، الحب المستحيل.

– بمناسبة ما حدث لك بالأمس.. كان قد أصبح مجنونًا.

– ليس للأسباب التي تظنها. إنه لم يرد أن تتكرر القصة.

قال "باتريك" الذي لم يفهم:

– ماذا تقصدين؟

– لقد حدثته زوجته عن الخوف الذي تحس به. إن حدسها يبدو

www.rewity.com

صحيحًا وكأنه هاجس. وهو لم يرد أن يعرف شيئًا. إننا دائمًا نستخف بخوف الناس ونقول: لا، إنها أمور صبيانية.

توقفت عن الكلام وأحست بالمرارة تتصاعد بداخلها ثم استطردت:

– إن فكرة عدم اتخاذ خوفها ماخذ الجد تعذبه. إنه يحس بمسؤوليته عن موت "جوديث". عندما تحب أحدًا وتشعر بالعجز عن حمايته تصبح مذنبًا طوال الحياة، ومن هنا تبرر ضرورة العودة هنا.

– هذا غريب. إنني أعرفه منذ سنوات، ولم يبح لي قط بمثل هذه الأشياء.

– ربما لايزال يشعر بعجزه نحوها.

اشتدت الرياح فجاة وأثارت زوبعة الرمل أمامهما. وصلا بالقرب من المستنقع. توقفا فجاة لدى رؤية "مارتان" يمشي أمامهما.

وفجاة طار الشال الذي تلفه "جولييت" حول عنقها بسبب الرياح، ولم تتح لها الفرصة للإمساك به.

تابعه الثلاثة بعيونهم حتى حط مثل الطير على سطح الماء.

استدارت "جولييت" نحو "مارتان" وقطبت حاجبيها. أصبح العجوز شاحبًا جدًا فجاة.

خرج "بيير بونفيل" بدوره من الغابة ووقف ساكنًا. كانت عينا "مارتان" مركزتين على المستنقع ثم رفع يديه نحو وجهه ونظر إليهما بشرود وأخفى وجهه، وكانت كتفاه تهتزان من النحيب. تبادل "باتريك" و"جولييت" النظرات ومشيا نحوه. ومن جانبه اقترب "بيير بونفيل". تاوه الرجل العجوز مثل الحيوان الجريح وقال:

– أنا قاتل.

لم يعد صوته مثلما كان: لا قاسيًا ولا لطيفًا. عضت "جولييت"

شفتها بعصبية. اشتدت الرياح وزادت عاصفة الرمال معها.

قال "بيير بونفيل" وهو يمسك "مارتان" من ذراعه:

– لنعد.

بمجرد أن أصبح في مطبخ القصر انهار "مارتان" على الكرسي.

– لقد قتلت زوجتك.

ألقت "جولييت" نظرة على "بيير بونفيل". أصبح وجهه شاحبًا.

– في ذلك اليوم كانت تتجول بالقرب من المستنقع. كان لديها منديل أحمر، أحمر مثل الذي طار. كانت هناك رياح مثلما هو الحال اليوم، وتطاير شعرها الذي كان مثل البحر الهائج. تقدمت نحوها. نظرت كثيرًا في عينيها الكبيرتين والمذعورتين. لم أكن أريد إخافتها. أردت فقط مداعبة وجهها لكنها صرخت. وضعت يدي على فمها ثم خنقتها بيدي اللتين تسللتا حول عنقها ووقعت. ظلت عيناها الكبيرتان مفتوحتين عليّ.. حملت جثتها إلى القبو. ولم أعلم بعدها..

نهض فجاة ونظر إليهم ثم غادر الغرفة مسرعًا. خفضت "جولييت" رأسها لتتجنب النظر إلى "بيير بونفيل".

صفق الباب بعدها بثانية. إنه "بيير بونفيل" الذي خرج. عندما رفعت "جولييت" رأسها قابلت نظرات "باتريك". رفع كتفيه بشكل عاجز. ظلا جالسين ومستغرقين كل واحد في أفكاره.

عاد "بيير بونفيل" بعد قليل والانكسار يبدو على قسماته، لقد مر أمامهما دون أن يراهما. تابعت "جولييت" بعينيها شكله الطويل الذي تقوس قليلاً. لم تتحرك وسيطرت على رغبتها في محادثته. ماذا يمكنها أن تقول له؟ لن يجدي أي كلام حقًا.

استندت بمرفقها إلى المنضدة ونظرت إلى خصلات شعرها التي تلفها بين أصابعها. أحست بالحيرة والتعب. أفضل ما تفعله هو أن تأخذ سيارتها وترحل إلى "باريس". لابد أن تتخذ قرارها بسرعة. ماذا تأمل من البقاء هنا؟ أن يعلن لها أنه يحبها مثلما تحبه. عبث!

تذكرت موعدها مع "سيمون بورجوا" الذي لا تعرف مكانه أو زمانه.

كانت الرياح شديدة بالخارج ولكنها تستطيع اختراق الأرض. إنها لم تكشف بعد عن هاتين اليدين المتوسلتين المرفوعتين نحو السماء.

توجهت "جولييت" نحو إحدى النوافذ. لقد أصبح المنظر تحت تأثير الرمل مغبرًا. أسندت جبهتها إلى زجاج النافذة وجعلت عينيها مصوبتين نحو المستنقع المرئي بالكاد. فقط بدت أشجار البلوط غير مبالية وهي تتناغم مع عظمتها ومن ثم لم تتزحزح من جانبها.

وفجأة بدت "جولييت" مضطربة والصقت وجهها بالزجاج وأطلقت صرخة.

سأل "باتريك" وهو يقف:

- ماذا هنا لك؟

لم يكن لدى "جولييت" وقت كاف للرد عليه وخرجت مسرعة. قاومت العاصفة التي تدفعها وحمت وجهها بيديها وجرت في اتجاه المستنقع. لحق بها "باتريك". واصلا طريقهما حتى أسفل شجرة البلوط. مدت إصبعها نحو فرع الشجرة. رفع "باتريك" عينيه ثم أطلق سبابًا. كان جسد "مارتان" يتأرجح على الشجرة.

- لابد أنه شنق نفسه. اذهبي لإحضار "بيير".

نفذت "جولييت" ورحلت في الاتجاه المعاكس وعادت مع "بيير بونفيل". وجد "باتريك" سكينًا في سترة الرجل الضخم واستند إلى

الأفرع المنخفضة وصعد إلى الفرع الذي تتدلى منه الجثة.

- أمسكاه، ساقطع الحبل.

اهتزا تحت تأثير وزنه وترنحا بسبب سقوطه. نهض "بيير بونفيل" وحاول أن يفك الحبل الذي انغرس في اللحم. عندما نجح في سحبه كشف عن أثره العميق وتحول دمه إلى اللون الأسود. وضع رأسه على صدر "مارتان" ثم اعتدل بعد أن أغمض عيني العجوز:

- لقد مات. لابد أن الحقيقة كانت غير محتملة بالنسبة إليه.

عادوا إلى القصر. صعدت "جولييت" مباشرة إلى حجرتها ووضعت حاجياتها في حقيبة. قبل أن تنزل سمعت صوت "بيير بونفيل" وهو يتصل بالشرطة.

عبرت صالة الطابق السفلي وخرجت إلى الفناء وتوجهت نحو سيارتها. أدارت المحرك ورجعت بالسيارة إلى الخلف قبل أن تأخذ طريقها إلى الجسر.

بمجرد أن أصبحت على طريق "فرنانت" زادت من سرعتها.

عند ملتقى الطرق السبعة سلكت درب "سان لوبين" وعيناها مصوبتان على الطريق أمامها.

الفصل الثالث عشر

على الطريق المحلي الذي يربط "سولون" بـ"باريس" تجاوزت السرعة المحددة وهي غير مبالية باللافتات الإرشادية. كانت تقود بسرعة، بسرعة أكبر مما تسمح به سيارتها الفيات.

الأهم بالنسبة إليها هو أن تبتعد بأكبر سرعة ممكنة عن هذا القصر. قالت في نفسها بمرارة: "قصر الشعراء! الجنون مثل الشعر لكن هذا لا

يمكن تصوره أبداً!"

تجاوزت ميناء "أورليان". "باريس" كانت تتلألأ في الليل. تذكرت "جولييت" أنها تحب "باريس". كان لابد أن تفكر "جولييت" في أي شيء. تفكر في أن الحياة جميلة، وأنها ستعمل وستعمل حتى تصل إلى درجة الإتقان، حتى النسيان. ركنت سيارتها في شارع "جيوردانو برونو" وأمسكت حقيبتها ونزلت وأغلقت الباب. مرت تحت مظلة وصعدت حتى الطابق السادس وفتحت الباب.

بمجرد أن أصبحت في شقتها ألقت حقيبتها جانباً وأسرعت نحو التليفون.

– مساء الخير، أريد محادثة السيد "مونتيل".

أجابها أحد أنه غير موجود.

– أهناك مكان يمكن أن أتصل به فيه؟

بعد قليل قالت:

– شكرا. أعرف الرقم.

وضعت السماعة ثم تناولتها وطلبت رقماً آخر. على الجانب الآخر دوى صوت الجرس في صمت. انتظرت عدة دقائق ثم وضعت السماعة. قالت في نفسها: "إنه لا يضيع شيئاً من أجل الانتظار".

أخذت تغدو وتروح في الحجرة الوحيدة التي تعيش فيها. بحثت بعينيها على أحد الأرفف عن كتاب ووقفت على أطراف قدميها لتمسكه ثم جلست على كرسي كبير في منتصف الحجرة. استغرقت في نص "الملك لير". استولت عليها فكرة مفاجئة ونهضت وأمسكت التليفون وطلبت رقم "سيمون بورجوا".

– أنا "جولييت مايانس". لقد نسيت تماماً مكان وزمان لقائنا.. نعم

عدت إلى "باريس".. التصوير؟ لقد مر بسلام... لا، لا توجد أدنى مشكلة خاصة.. إلى اللقاء غداً إذن.

طلبت الرقم السابق دون أن تصل إلى نتيجة، ثم ذهبت للجلوس وهي تستعيد قراءة كتابها. المشهد الأول، الفصل الأول ثم تركته في الحال مفتوحاً على ركبتيها، وأسندت رأسها إلى مسند الكرسي.

"أردت أن أكون بهلوانا.. لم أرد أن يحدث لك أي مكروه.."

تنهدت "جولييت". يجب أن تفكر في شيء آخر. نهضت وأمسكت مفاتيحها وحقيبة يدها وترددت قبل أن تخرج، وتأكدت من حالة ملابسها، ورفعت كتفيها، وأغلقت الباب وراءها.

نزلت السلم بسرعة، وقادت سيارتها حتى "تروكاديرو" حيث سلكت شارع "جورج مندل". توقفت على بعد مائة متر وألقت نظرة من نافذة السيارة على واجهة العمارة الفاخرة.

اتكأت على مسند المقعد وانتظرت ساكنة وهي تترقب المارين. تعلقت نظراتها بشخص ما. إنه رجل في سن البلوغ ويرتدي ملابس أنيقة.

انتظرت "جولييت" قليلاً ثم اخترقت صالة مزينة بالسجاد والنباتات الخضراء. تجاهلت العينين الفضوليتين للحاجب وضغطت على زر المصعد. بعد عدة ثوان طرقت باباً بمصراعين له مقبضان من النحاس يلمعان تحت المصابيح التي تنير السلم.

فتح الرجل – الذي رأته منذ لحظات – الباب.

قالت وهي تدخل دون أن تهتم بنظرة الدهشة البادية على الرجل:

– ألم يعد هناك أي وصيف هنا؟

– لم يعد هناك أحد وأنت تعلمين هذا جيداً.

– وصيف، مديرة منزل، خادم، .. كان هناك أحد يفتح الباب.

– كانت هناك "إيميلي" وهي مديرة منزل.

– آه! مديرة منزل، الأمر "شيك" هكذا أو عصري كما يقول الشباب الآن.

– لماذا لم تصبحي جزءاً من هذه الطبقة؟

– أخلاقيًا لا. إنني من الموضة القديمة.

– بعد خمس سنوات من الغياب تأتين لرؤيتي من أجل أن تخبريني بهذا؟

– لا، أتيت لأحدثك عن "بيير بونفيل".

تقدمت نحو الصالون الواسع المزين بأثاث فخم. أكدت بسخرية وهي تلقي نظرة من حولها:

– دائمًا وفيّ لطراز "نابليون"!

– من "بيير بونفيل"؟

– سينمائي. هل تعرف معنى كلمة سينمائي؟

– عم تبحثين بالضبط؟

– منذ أربع سنوات كان "بيير بونفيل" يصور فيلمًا كنت أنت منتجه أو أحد منتجيه. وحدث اضطراب في أثناء التصوير.

استدارت نحو أبيها وبدا وجهها قاسيًا ومحقرًا.

– ألا يخبرك هذا بأي شيء؟

تقدم نحو المائدة المنخفضة وفتح علبة السيجار وأخذ واحدة لفها جيدًا بين أصابعه.

– بلى، وماذا حدث؟

– الإنتاج جمد الميزانية.

– لم أكن الوحيد المتسبب في هذا.

– كنت واحدًا منهم!

– ماذا كنت تريدين أن أفعل؟

– أن تتصل به وتعيد له المال. كان يحتاجه في هذه اللحظة.

– يالك من مجنونة يا فتاتي الصغيرة! أتعتقدين أن الأمور تسير على هذا المنوال؟

– ومنذ أربعة أعوام كيف سارت الأمور؟

– عندما يكون هناك عقد موقع فإن كل طرف ملتزم باحترامه. نحن لا نخالف القانون مطلقًا.

– النسور ضد الحمائم وأنا اخترت الحمائم.

– إنك تتكلمين أي كلام. إنك لا تعرفين شيئًا عن كل هذه الأمور.

– كل هذه الأمور، إنها حياة رجل محطم! لقد حاول إعادة الفيلم الذي أشارك فيه. لقد فشل المشروع. يجب أن أساعده!

– لست بنك "فرنسا"! إنني أدير دار إنتاج وليس دار رعاية اجتماعية!

– لحسن الحظ، وإلا لم تكن حينذاك دار رعاية اجتماعية.

– كفي عن لهجة السخرية هذه.

– كف أنت عن مواعظك. لقد اجتزت السن إذا لم يكن لديك أي علم بهذا.

لفت في الحجرة وأشارت برأسها إلى اللوحات التي تزين الجدران.

– يمكنك أن تبيع لوحة "فان جوخ"!

– كفي عن هذه الأمور الصبيانية. كان لدي يوم متعب، إذا استمررت في التحدث بهذه النبرة فإنه يمكنك الرحيل على الفور. لن يمكنني منعك.

www.rewity.com

- لا يوجد غيرك الذي يشعر بالتعب.

ألقت بنفسها على كرسي ونظرت إلى والدها وقالت:

- لقد كبرت في السن.

قال وهو يجلس أمامها:

- الكثير من الهموم. أترغبين في تناول شيء؟

- أريد شرابًا.

ألقى عليها نظرة دهشة:

- تشربين الآن؟

لم تجبه ولكنها قالت له بعد برهة:

- يجب أن تمول "بيير بونفيل".

- لديه موهبة ولكن بلا نجاح.

- من لديهم النجاح يدفعون لمن لديهم الموهبة. أليس كذلك؟

- الأمر ليس بهذه البساطة.

أعطاها الكأس وقال:

- قرأت بعض الانتقادات الجيدة عليك.

تأملت الكأس في صمت وقالت:

- أتهتم بالمسرح الآن؟

- من الواضح يا صغيرتي أنك ذات نية سيئة!

- ماذا تريد؟ إنه عامل الوراثة. ماذا تنوي أن تفعل إذن من أجل الإصلاح؟

- لكنها فكرة ثابتة!

ابتسمت له ابتسامة عريضة. تنهد:

- اطلبي منه أن يرسل مشروعه إلى الإنتاج.

- لا، ستتصل بمساعده "باتريك دامون" مساعده. ساعطيك رقم

تليفونه.

- لكن هذا لن يحدث أبدًا! لا يمكن إنتاج فيلم كما نضع خطابًا في البريد.

- حسنًا، سنقلب الأدوار في هذه المرة!

- إذا كان هناك سيناريو صالح فإنني أريد دراسته.

أخذت نوتة أوراق صغيرة موجودة على المائدة وكتبت رقم تليفون. أحست بأن والدها يراقبها.

- ماذا يعني "بيير بونفيل" هذا بالنسبة إليك؟

- لا شيء. مجرد علاقة. إنه صديق "باتريك دامون".

- وتفعلين هذا من أجله، من أجل الفرحة بإصلاح ظلم وقع عليه؟ أتظنينني أحمق؟

بما أنها التزمت الصمت واصل حديثه:

- إنك تحبين هذا الرجل؟

- لا، أبدًا! إنني.. إنني أعتبره إنسانًا جيدًا، هذا كل شيء. الأهم هو ألا يعلم بما أخبرتك به.

- ولا تسمين هذا حبًا؟

- سمه كما تريد. على العموم حتى لو كان كما تقول فإنه غير متبادل. كان يحب زوجته وقد ماتت لكنه لا يستطيع نسيانها.

ساد الصمت كثيرًا.

- لماذا لم تأت من قبل لرؤيتي؟

- إن ذاكرتك ضعيفة. إذا كنت عملت بالمسرح فلا تنس أنه بفضل أمي، وأنها هي من جنبتني في اللحظة الأخيرة المدرسة الداخلية التي كنت قد حجزت لي فيها.

- لم أقل قط إنها مخطئة.

www.rewity.com

– لا ولكنك تركتها.

– لم نفترق لهذا السبب! لا تكوني غبية!

نهضت "جولييت" ووضعت الكأس الفارغ.

– حسنًا، إنني أعتمد عليك.

لم يزمجر ونهض بدوره ليصطحبها. جذبت الباب نحوها.

– ألن تقبليني؟

استدارت نحو أبيها وطبعت قبلة سريعة على خده وخرجت. بمجرد أن أصبحت في سيارتها ألقت نظرة على النوافذ المضيئة ثم انطلقت بسرعة.

لدى عودتها إلى منزلها أسرعت نحو الدش ثم تمددت على سريرها. راحت في النوم بسرعة وهي حزينة لكنها مطمئنة.

الفصل الرابع عشر

في صباح اليوم التالي وفي الساعة التاسعة بالضبط وجدت نفسها في ضجة كتلك التي تسيطر على مقهى "رامو". كانت تكره هذا الجو السطحي الذي يتكلم فيه الجميع بصوت عال كما لو كانوا خائفين ألا يسمعوا بعضهم البعض.

وصل "سيمون بورجوا" وهو يرتدي حُلة من القطيفة السمراء ومنديلاً معقودًا حول عنقه. كان يرتدي نوع حلة "بيير بونفيل" نفسها.

قال مع ابتسامة عريضة وهو يجلس أمامها:

– صباح الخير، إنك موافقة إذن على العمل معنا بشكل نهائي؟

أشارت إشارة إيجاب برأسها. حدثها قليلاً عن الإخراج وعن المسرحية التي تعتبرها أفضل أعمال "شكسبير". عندما نظرت "جولييت" إلى

ساعتها كانت قد تجاوزت الحادية عشرة. لم تكن قد فتحت فمها. في لحظة معينة دهشت لأنه اختار ترجمة "لوتورنير" التي تبعد تمامًا عن النص الأصلي وفقًا لرؤيتها.

افترقا بعد أن تصافحا واتفقا على موعد بعد ظهر اليوم نفسه في مسرح "أركاديا" من أجل البروفات الأولى.

جالت "جولييت" عدة ساعات في شوارع حي "سان ميشيل"، وأكلت بسرعة "ساندوتش" في مقصف المقهى وذهبت إلى المسرح في الموعد المضبوط. كان كل الممثلين موجودين. كانت تعرف الكثير منهم، والتعامل مع الآخرين كان محببًا.

كرر "سيمون بورجوا" خطته. وجدت "جولييت" فجأة أنه يفتقد إلى الخيال. كان يشعر بالارتياح، ومثرثرًا وزلق اللسان. كانت أفكار "جولييت" بعيدة عن هنا. بدأ الممثلون بروفة الفصل الأول، وكانوا يمسكون النصوص في أيديهم.

في نهاية اليوم أحست "جولييت" بالتعب ولكنها أحست باستعادة هدوئها. لكن بمجرد أن وصلت إلى شقتها كانت عاجزة عن التركيز في نصها. نظرت إلى نفسها في المرآة ووجدت نفسها نحيفة وكبيرة.. تذكرت: "عيناك زرقاوان.. زرقاوان جدًا".

أحست بالحيرة. إذا كان لون عينيها مختلفًا فإنهما لم يكونا سيسببان هذه العودة المأساوية نحو الماضي. لم يكن العجوز سيعيرها أدنى اهتمام. لم يكن سيتم العثور على جسد "جوديث" وكان الفيلم سيكتمل ولم يكن العجوز قد مات.. وإذا كانت "كلير مانسي" قبلت الدور.. عضت "جولييت" شفتها بعصبية.. فإنها لم تكن ستحب "بيير بونفيل"، هذا الرجل الذي من المحتمل ألا تراه أبدًا.

رن جرس التليفون وذهبت للرد عليه:

– أنا "باتريك".

– أنا "جولييت".

– ياله من مكر.

أحست أن قلبها ينبض بقوة. سألت:

– ماذا هنالك؟

– أنت من يجب أن يسأل هذا السؤال! لقد تجوت بنفسك مثل اللصة.

– لم أرحل ومعي الفضيات!

– "بيير" لم يكف عن التساؤل عن سبب هروبك بهذه الطريقة.

لم تجبه "جولييت". واصل حديثه:

– لقد أعطيته رقم هاتفك.

– لكن لماذا فعلت هذا؟

– لأجل أن يتصل بك طبعًا!!

– أخبره بأن التليفون ليس ملكي.

– الوقت متأخر قليلاً.

– أخبره بأن الخط مقطوع وأنه لم يعد يعمل. اخترع أي سبب إذن. إنك مساعد مخرج، نعم أم لا؟ كنت أفضل ألا نتكلم عنه ثانية.

– اسمعي، إنك كبيرة ويمكنك أن تقولي له هذا أو ضعي نفسك في قائمة المشتركين الغائبين. ما هذه التصرفات الصبيانية؟

– إنك محق. ساخبره أنا بذلك.

وضعت "جولييت" السماعة وظلت جالسة على السجادة وهي تفكر. ماذا يريد أن أخبره؟ الاعتذار مرة أخرى؟ أو محادثته عن هذه المرأة التي لم تُنس؟

أفزعها رنين التليفون. أمسكت السماعة وأغمضت عينيها. هذا

الصوت الذي تحبه..

– "بيير بونفيل" على السماعة. يجب أن أراك.

– أنا.. أنا لا يمكنني في هذه اللحظة. إنني مشغولة جدًا الآن مع البروفات. ليس لدي الوقت.

ثم أضافت بعد فترة توقف للتفكير في استخدامها لعامل الوقت.

– ألا يمكنك أن تخبرني بما تريد الآن؟

– قلت إنني أريد رؤيتك.

– أؤكد لك أنه ليس لدي الوقت.

– أوه! كفي عن التحدث كوزيرة! أتصور أن دفتر مواعيدك مليء ولكن يجب أن يكون به خمس دقائق يمكنني محادثتك فيها.

– حسنًا جدًا، يمكنك أن تأخذني من مسرح "أركاديا" غدًا في الفترة الصباحية.

احتفظت بالسماعة في يدها ثم وضعتها بشكل آلي. أمسكت كتابها لكن الحروف كانت تتراقص تحت عينيها.

نامت على الكرسي واستيقظت متيبسة في الفجر. دلفت إلى سريرها ونامت عدة ساعات. عندما رن المنبه أوقفته بحركة ساخطة.

وقفت أمام المرآة ثم ذهبت إلى الحمام. أحست بتعكير صفو مزاجها على الرغم من أن "باريس" تضحك تحت الشمس. ارتدت فستانًا من الكشمير الأسمر وحذاء باليه ولفت نفسها في شال عريض.

في المقهى الصغير المجاور لشارع "جيوردانو- برونو" أخذت قشدة والتهمت أربعة من "الكرواسون" دون أن تدرك هذا.

مشت بخطى رشيقة حتى المسرح. بدأت البروفات:

– أبي الطيب، لقد أنجبتني وأطعمتني وأحببتني. وفي المقابل منحتك كل الأحاسيس والامتنان الذي يفرضه عليَّ الواجب. إنني تحت

أمرك وأحبك وأحترمك بشدة. لكن لماذا أخواتي..

قال لها "سيمون بورجوا" من مكانه وهو جالس:

– يمكنك أن تتوقفي فقط قبل.. ولكن لماذا "أخواتي"..؟

هزت "جولييت" رأسها واستأنفت. قاطعها "سيمون" من جديد:

– اطرحي السؤال بقوة لو سمحت، أكثر في المرة الثانية.

لكن الصوت القوي للملك "لير" ارتفع:

– ولكن هل يتوافق قلبك مع كلامك؟

– نعم يا أبي.

صرخ فيها المخرج:

– كوني قوية أكثر.

استمروا هكذا حتى حانت ساعة الغداء.

– استراحة للغداء مدتها ساعة.

أمسكت "جولييت" من على مقعدها الشال والحقيبة ثم توجهت نحو باب الانصراف، وحاولت أن تسيطر على نبضات قلبها التي تتزايد. قبل أن تدفع الباب تنفست بعمق.

– "جولييت"

استدارت فجأة. كان "بيير بونفيل" جالساً في الصف الأخير.

قالت له:

– أتريد أن نتكلم هنا؟

– لا، لنخرج على الفور.

مشيا جنباً إلى جنب في صمت تام. اقترح "بيير بونفيل" شرفة المقهى. ما إن جلست حتى نظرت "جولييت" إليه بوقار وهناك سؤال صامت في عينيها. اقترب الجرسون ليسألهما عما يريدان تناوله، طلبت الفتاة قهوة وطلب هو شاياً.

– ألا تريدان أي شيء لتأكلاه؟

– ليس الآن.

أخرج الغيلون من جيبه وتفحصه كما لو كان يراه للوهلة الأولى. عقدت "جولييت" ساقيها واستندت إلى المسند.

كان الشارع مزدحماً والمارة يمشون بسرعة بسبب عامل الوقت، في هذه الساعة الممنوحة بين الظهيرة وساعة العودة إلى فتح المكاتب، تلك الساعة التي يجب استغلالها بشكل أفضل وبأقصى قدر ممكن. وهكذا تسير البشرية، وتضيع حياتها في اكتساب الوقت.

ألقت "جولييت" نظرة على "بيير بونفيل": كانت تحب يديه ذات الأنامل المهذبة التي يمررها في شعره الهائش. لم يكن قد حلق ذقنه. استمر في سحب الدخان من الغليون بقوة.

قالت وهي تبتسم بعد أن لاحظت أن الغليون لا يسحب جيدا:

– يجب أن تشتري غليوناً آخر.

رفع رأسه ورد على ابتسامتها وقال:

– آه، نعم.. إنني أحتفظ به فقط لأنه لا يعمل. ما يهمني ليس الدخان بقدر أن أمسك بيدي شيئاً يشعرني بالكفاية. هناك بين البيب وبيني معركة دائمة. لكن الغريب هو أنني عندما أتمكن من سحب الدخان لا أشعر بالفخر.

– قصتك مدخنة قليلاً. كنت تريد رؤيتي وهأنا أمامك. لم يعد أمامي سوى نصف ساعة قبل العودة للبروفات.

اخرج محفظة من جيبه وأخرج منها شيكا مثنياً وأعطاها إياه. أمسكته وألقت نظرة عابرة على الرقم. عشرة آلاف فرنك. سألته بدهشة:

– ما هذا؟

– مجرد شيك. أو بعبارة أخرى أجرك عن التصوير.

تفرست فيه بدقة وهي تمزق الشيك دون أن تهتم بالدهشة البادية على جارها في المائدة.

قالت وهي تحاول السيطرة على الغضب الذي تصاعد بداخلها:

– لم يكن هناك داع لتحمل مشقة رؤيتي من أجل هذا. يكفي مظروف وطابع.

– لا يوجد ما يمنع قبول المال إزاء عمل قمت به.

– الأمر ليس هكذا..

ولما أدركت أنها علّت صوتها حتى استدار نحوها كل المحيطين بهما، خفضته وأضافت وهي تميل نحوه:

– ليس لدي أي حساب في البنك.

نهضت فجأة من على كرسيها وهي تصعقه بنظرة وابتعدت بسرعة كبيرة قدر استطاعتها. لم يلحظ أحد الدموع التي تتلألأ في عينيها سوى رجل عجوز قابلته وكان يمشي بخطى هادئة. استدار نحوها هذا العجوز الذي لم يعد أمامه الكثير ليعيشه في هذه الدنيا وهو ينظر إليها نظرة واضحة خففها الزمن.

الفصل الخامس عشر

دخلت "جولييت" مباشرة من باب المسرح. بعدها بلحظات أصبحت "كوردليا" التي ينكرها والدها ويحرمها من الميراث الدوق "دابورجونيا" والتي تعشق أمير فرنسا. ""كوردليا" الجميلة غير المحظوظة كلما هجروك أصبحت اختياري الثمين، وكلما قللوا من شانك زاد حبي.."

كانت فترة ما بعد الظهر مأساوية للياس الصامت لـ"كوردليا" والمضحك لعمي ذلك الملك، وتلك الشخصية المهرجة.

قال "سيمون بورجوا":

– سنستأنف غداً في التاسعة صباحاً!

خرجت "جولييت" من باب الانصراف. هناك مطر خفيف يكسو المكان غير واضح على إشارات السيارة ومشبع بالبخار على وجه "جولييت" ويمتزج بالدموع التي لم تعد قادرة على كبتها. مشت بخطى بطيئة وغير مبالية حتى شارع "جيوردانو- برونو". حينما أدخلت المفتاح في القفل رن جرس التليفون وسمعته من خلال الباب الذي فتحته دون أن تسرع وأغلقته وخلعت حذاءها المبلل وألقته في الغرفة. بما أن رنين الجرس استمر بإصرار فإنها توجهت نحوه ورفعت السماعة دون أن تنطق بكلمة.

– "جولييت"؟

قالت بتنهيدة:

– نعم، أنا "جولييت".

على الطرف الآخر من السماعة كان صوت "باتريك" متحمساً.

– لن تخمني ما حدث اليوم. تصوري أنني تلقيت مكالمة من والدك؟

– حقًا؟

– نعم، أؤكد لك. غير معقول! أراد استئناف العقد مع "بيير" وعرف ما قد أصبح عليه.

– وماذا إذن؟

– أخبرت "بيير". لابد أنهما تقابلا بعد الظهر. هذا مدهش، أليس كذلك؟

– مطلقًا.

– لا يبدو أنك مقتنعة.

قالت بصوت متضايق:

- بلى، بلى.

ساد صمت طويل في أعقاب هذه الكلمات.

قال "باتريك":

- حسنًا، لابد أنك تكلمت كثيرًا، سأضطر إلى أن أتركك. إلى اللقاء.

وضعت السماعة وتمددت على السجادة.

طرق أحد على الباب وتغاضت عن سماعه. عاود الطرق مرة أخرى، ونهضت وهي تنفخ وأدارت المقبض. كان "بيير بونفيل" يقف على عتبة الباب. نظرا إلى بعضهما في صمت.

سألته دون أن تبعد عينيها عنه.

- ماذا تفعل هنا؟

- إنك تعتبرينني حقًّا آخر الحمقى.

رفعت حاجبيها دهشة.

- لا تصمتي هكذا. رأيت والدك بعد ظهر اليوم.

قالت وهي تستدير وتمشي في الغرفة:

- رأيت من يريدك.

سمعته يغلق الباب. استدارت.

- لم أدعك للدخول.

- ولم تدعيني لفعل العكس أيضًا.

رفعت كتفيها. سألها بهذا الصوت الرصين الذي تحبه كثيرًا:

- ما الذي تسعين لعمله؟

أجابته بمراوغة واضحة:

- لا أفهم مقصدك.

- إنك لا تلعبين دورك بشكل سليم. لقد وافقت على موعد والدك

من جراء فضولي فقط لأعرف إذا كنت أنت مخرجة هذه المسرحية كما شككت أنا.

- وحينذاك هل تشعر بالغيرة من موهبتي؟

بعد كل هذا، حينما خمن مقصدها لم يعد ضروريًّا لأن يكذب.

- لا، أرى أن إخراجك متوسط وغبي. ألم تفكري في أنني سأنخدع بها وأقبل العرض المادي للسيد "مونتيل"؟ على أية حال ليس لدي أي مشروع أخضعه له فأنا سأغادر "باريس" وأرحل إلى الخارج..

تسمرت في مكانها.

- سأخرج فيلمًا لشركة أمريكية وسأرحل في صباح الغد.

أسدلت "جولييت" عينيها وهي تعض شفتها حتى لا تبكي. ثم رفعت رأسها فجأة، ودست يديها في جيبيها ونظرت إلى "بيير" بشكل محرض:

- حسنًا، اذهب إلى أمريكا!

ثم أضافت بصوت ساخط:

- لن تكون الأول.

- لقد قطعت تذكرتين.

ألقت عليه نظرة متشككة.

- ماذا تقصد بالضبط؟

- واحدة لك والأخرى لي.

قالت وهي غير مصدقة:

- كيف تقطع تذكرة لي؟ لكن.. لماذا؟

- هانت تمثلين وعن عمد. لن تجبريني مع ذلك على طلب الزواج بك!

كررت بدهشة:

- طلب زواج؟ أنت مجنون؟

- مجنون بلا شك.

- لا أريد الذهاب إلى أمريكا! لدي عقد مع المسرح!

أخرج تذكرتي الطائرة من جيبه ومزقهما بهدوء ووضعهما في سلة المهملات في ظل نظرات الفتاة الدهشة التي كانت تتابع حركاته.

- في هذه الحالة سنتزوج في "باريس". إذا أردت.

ظهرت ابتسامة على وجه "جولييت" وقالت متلعثمة:

- إنك.. إنك تحبني إذن؟

قال وهو يبتسم:

- لا حقيقة، ولكنه شيء من هذا القبيل.

- هل علمت أنني أحببتك؟

نظر إليها في صمت وأجابها:

- لا، كنت أمزح فقط.

انفجرت "جولييت" في الضحك وأسرعت نحوه.

- لا تقل لي أبداً إن عينيّ زرقاوان جداً.

ضمها إليه بشدة.

- إنهما زرقاوان وهذا أجمل لون. ذلك اللون الذي بدونه ربما لم يكن قد حدث شيء.

على بعد مائة وخمسين كيلو متراً من هنا كان الليل ينغلق على الغابة ويحيط القصر بسكون دامس. وبين أشجار "النيلوفر" عكس الماء الوميض الأول للقمر.

تمت بعون الله